كلية الآداب بقنا
قسم التاريخ

دراسات
فى

الحضارة الإسلامية

الأستاذ الـدكتـور

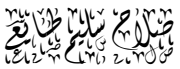

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
وعميد كلية الآداب بقنـا
جامعة جنوب الوادي

مقدمة:

لم تعد الكتابة فى التاريخ الإسلامى مجرد سرد لسير الخلفاء ووصف لمجالس طربهم ولهوهم وللحياة فى قصورهم أو ذكر لحروبهم ووقائعهم ، وإنما أضحت نظرة واسعة للحياة الإسلامية ، أرحب ما تكون النظرات ، وإنما لابد أن نعطى لهذا التاريخ مفهوما يعبر عنه وديناميةتسير حركاته تسير غور أعماقه .

(صرخة ألم ... أمة تستغيث)

ويقول الشيخ محمد الخضرى فى كتابه « تاريخ الدولة العباسية » لمن الكتب المهمة التى يجب أن يطلع عليها كل مسلم لأنها تحكى لنا تاريخ أمة كانت فى مقدمة الركب تستقى منها الأمم الأخرى كل معايير الحياة عندما كانت تطبق هذه القاعدة ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ فلما تركت هذه الآية أصبحت فى ذيل القافلة تسير ذليلة منكسرة يلقى إليها فتات الموائد فتأكل وعفن العقول فترضى فهى دعوة أسوقها إلى الهمم النخرة لاستنفارها لإنقاذ الأمة الغائبة، فهو واجب على كل فرد من أفراد الأمة أن يستفزع كل وسعه لنصرة هذا الدين وهذل من جراء العهد الذى أخذه الله على البشرية كلها بقوله تعالى : ﴿ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ فهى أمانة تعبيد الناس لرب الناس ، وسيادة شريعة رب العالمين على الأرض وقيادة الأمم الكافرة بأيد مؤمنة .

وبعد ففى الصفحات التالية مجموعة من المحاضرات التى قمت بجمعها من بطون المصادر الإسلامية وبطون المراجع، وحاولت أن أعالج من خلالها تاريخ الدولة العباسية فى عصرها الأول فتعرضت لدراسة التاريخ السياسى لهذا العصر بوجه عام مع التركيز على السياسة الخارجية للدولة العباسية فى الشرق والغرب، مع الاهتمام بالنواحى الحضارية التى ترتبت على عملية

المذمع على الأمة العربية الإسلامية بالعناصر الفارسية (الأعجمية) التى كان لها أعظم الأثر فى إمداد الحضارة الإسلامية بدماء فتية جدية ومادة حيوية.

هذا وقد بذلت فى إخراج هذا الكتاب بهذه الصورة الجهد المضنى ، وأملى أن أكون قد أفلحت فى إعطاء العصر العباسى الأهمية التى يستحقها سواء ما يتعلق بجانبه السياسى أو ما يتصل بجوانبه الحضارية.

وكما قال ابن خلدون فى مقدمته:

" إن غاية العمران، هى الحضارة، والترف، وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد ... فينسون (الناس) عصر البداوة والخشونة كأن لم يكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تبنوه من النعيم ونضارة العيش فيصيرون عيالاً على الدولة ومن جملة النساء والولدان والمحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ... فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته "

وعسى أن أكون قد أحرزت بعض النجاح ولا ندعى الكمال فليغفر لنا القارئ الكريم ما أكون قد وقعت فيه من زلل .

والله ولى التوفيق ،،،

د. صلاح سليم طايع
كلية الآداب بقنا
جامعة جنوب الوادى

مراكز الحضارة الإسلامية

المدن الإسلامية

المدينة ومدلولها :

المدينة[1] هى مركز استقرار واقامه، وهذا المعنى مشترك بينها وبين القرية، وهناك صفات تميز المدينة عن القرية أبرزها : نمط الحياة والمظهر العام، والكثافة السكانية[2] ومن أهم المدن الإسلامية الآتى :-

المدينة المنورة :

تبدأ نشأة المدينة الإسلامية من يثرب بعد هجرة الرسول إليها والتى حولتها إلى "مدينة" ومدينة الرسول هى العاصمة الإسلامية الأولى التى اتخذها منذ وصوله إليها مهاجرا من مكة بدأت تتغير معالمها العمرانية تغيرا جمع شتاتها ووحد كيانها، وجعلها مركزا حضاريا متكاملا، يتناسب مع كونها عاصمة الدولة الإسلامية ومركزا سياسيا وإداريا فاكتسبت بذلك صفة المدينة [3]

0

والمدينة المنورة عبارة عن سهل فسيح تحيط به الحراث من جهاته الأربع ويتميز بخصوبة التربة وكثرة المياه وكانت المدينة قبل الهجرة مقسمة إلى محلات سكنية منفصلة تسكنها البطون والقبائل اليهودية والعربية، وكل محله تضم بالإضافة إلى منازلها ومزارعها أطاما حصونا يحتمى بها السكان عند تعرضهم للخطر، بلغ عددها تسعة وخمسين أطما، وكان لكل قبيلة أطامها التى تحتمى بها [4]

والمدينة كما سماها الرسول طيبة فى مستوى من الأرض عذبة برية، جبلية وذلك لأن لها جبلين : أحدهما أحد، والآخر[5] غير، ولها أربعة أودية، يأتى ماؤها فى وقت الأمطار والسيول من جبال بموضع يقال له حرة بنى سليم على بعد عشرة فراسخ من المدينة، وهذه

الأودية هى : وادى بطحان والعقيق الكبير، والعقيق الصغير، ووادى قنا، تتجمع مياه هذه الأودية كلها بموضع يقال له الغابة، ويخرج إلى واد يقال له وادى أضم، ثم يخرج العقيق الكبير والعقيق الصغير فى آبار منها :

بئر عروة:وتقع في طرف وادي العقيق وتنسب إلى عروة ابن الزبير تشتهر بعذوبة مائها ويذهب إليها الزوار ليشربوا منها تبركا بها0 (6)

بئر أنا: وهي بئر ليهود بني قريظة، وتقع في منطقة العوالي بالمدينة، ويستفيد منها السكان في سقيا مزارعهم0 (7)

بئر أنس : وهي ملك لأنس ابن مالك زقد زارها الرسول وشرب منها وتشتهر بعذوبة مائها (8) 0

بئر أهاب : يقع في الحرة أرتادها الرسول وشرب منها ويسميها سكان المدينة بئر زمزم تبركا بها 0 (9)

بئر حلوة : وتقع بجوار دار آمنة بنت سعد في زقاق حلوة وقد أوقفت في القرن الرابع الهجري لسقيا الحجاج 0 (10)

بئر القريصة : تقع في شرق المدينة آتاها الرسول وشرب منها ويقال أن خاتمه وقع فيها وهي معروفة حتى اليوم بئر خاتم يقصدها الحجاج للزيارة وتبركا بها (11)

بئر حار : هذه البئر ملك لإبي طلحة الخزرجي تقع خارج سور المدينة وجعلها وقفا لسقيا الحجاج الوافدين إلى المدينة (12)

بئر فاطمة بنت الحسين: تقع في الحرة جنوب غربي المدينة المنورة ،وقامت بخفرها السيدة فاطمة بنت الحسين وأوقفته لسقيا المسلمين 0 (13)

وبئر رمة وهى حفير بنى مازن، ، فيشرب أهل المدينة سائر السنة من هذه الآبار 0 (14)

وبالمدينة عيون نابعة معينة، فمنها :

عين الخيف :تقع شمال شرق المدينة من بعد الخيف الشامي المسمى عند أهل المدينة بالسيح، ولقد أنشئ لها قنوات ومجاري لسقيا المزارع التي تحيط بها وأصلحت هذة القناة التي خربت في عهد الخليفة هارون الرشيد (15)

عين الشهداء : تقع بالقرب من جبل أحد شمال المدينة، أنشأت لسقيا المزارع التي تقع شمال المدينة وأصطلح على تسميتها بعين حمزة نسبة إلى شهداء أحد أو إلى حمزة أبن عبد المطلب ويذكر أن الذي أمر ببنائها الخليفة معاوية أبن أبي سفيان، ويذكر أيضا أنها كانت قديمة (16)

عين الزرقاء : تقع جنوب غرب المدينة وتستمد مائها من عين الجعفرية، وتتصل بمياه آبار عديدة، أنشأ هذه العين الخليفة معاوية سنة 50هـ بعد أن رأى راحة الشام في حصولهم على

المياه من الأنهار الجارية في بلاد الشام، وكان هدف الخليفة من إيصال ماء العين إلى المدينة هو استمالة سكانها إليه [17]، سميت بعين الزرقاء نسبة إلى والي المدينة مروان ابن الحكم لزرقة عينه [18]، وهناك قول آخر في سبب هذه التسمية لأنها تتصل ببئر يسمى الأزرق وهي تقع قرب عين جعرانه 0 [19]

وعين الصورين، وعين تنية مروان، وعين الخانقين، وعين أبى زياد، وعين برد وعين أزواج النبى [20] ونخيلهم وزروعهم تستقى من الآبار، التى تجريها الإبل والتى تعمل فى الزرانيق، وأكثر أموال أهلها النخيل ومنه معاشهم وأقواتهم، وخراجها من أعشار النخل والصدقات 0 [21]

وقد ورد ذكر يثرب فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا[22]﴾ وهى تقع إلى الشمال من مكة[23] ويحدها من الشمال جبل أحد 0 [24]

وكان التكوين البشرى فى يثرب مختلف عما أصبح عليه بعدما هاجر إليها الرسول فقد سكنها اليهود، حيث هاجروا إليها خلال القرنين الأول والثانى الميلاديين، على أثر الحروب التى شنها الرومان ضد اليهود، والتى انتهت بطردهم وزوال دولتهم فى فلسطين[25] فهاجر بنو النضير، وبنو قريظة إلى شمال الجزيرة وسكنوا يثرب، وأقاموا بها الحصون والأطام[26]، فكان هذا بداية استيطان اليهود بيثرب، ظل بنو النضير وبنو قريظة مقيمين بيثرب حتى نزح إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج الوثنية، بسبب إنهيار سد مأرب 0 [27]

كانت علاقة اليهود بالأوس والخزرج حسنة أول الأمر، إذ سمح لهم اليهود فى البداية بمجاورتهم، ثم بالإقامة معهم فى يثرب ولما كانت الغلبة فى يثرب لليهود والثروة التجارية فى أيديهم، سألهم الأوس والخزرج أن يعقدوا بينهم جوارا وتحالفوا معهم على المسالمة وحسن الجوار، فلم يزالوا على ذلك طويلا، وصار للأوس مال وعدد، فلما رأت بنى قريظة وبنو النضير حالهم خافوا أن يغلبوهم على دورهم فترصدوا لهم حتى قطعوا الحلف الذى بينهم 0 [28]

ولما استبدت القبائل اليهودية فى يثرب بالأوس والخزرج، استنجدوا بالغساسنة فقدموا لنجدتهم، ونصروهم حتى أصبح اليهود فى حكم الموالى لهم 0 [29]

كان الأوس والخزرج فى بداية عهدهم على وفاق، ثم وقعت بينهما حروب طويلة وكان الظفر للخزرج على الأوس 0 ويقول ابن هشام " أنه كانت بينهم حروب كثيرة منها حرب داحس والغبراء وغيرها 0 [30]

وكان وصول الرسول والمسلمين معه إلى يثرب نهاية للمعاناة والحروب وبداية لمرحلة جديدة طالما انتظرتها المدينة، بل أن أهلها كانوا يتطلعون إلى دعوة النبى بل بايعوه على الحماية والنصر، ويبدوا أن أهل يثرب من الأوس والخزرج كانوا قد سئموا الحروب والحياة

غير المستقرة فلم تعرف يثرب قبل الإسلام أى نوع من الإستقرار السياسى، أو التنظيم الإدارى فكان استقرار الرسول فيها بداية للاستقرار فى شتى مناحى الحياة 0 [31]

كانت الهجرة إلى المدينة تعنى انطلاقة المسلمين لتأسيس دولة الإسلام فى المدينة، حيث نزل الرسول قبل أن يصير إلى موضع المدينة، بقباء على كلثوم ابن الهدم، ثم مات كلثوم فنزل على سعد ابن خيثمة الأنصارى، ودار سعد هذا إلى جانب مسجد قباء وهو أول مسجد أسس على التقوى وكان أول عمل قام به الرسول عند وصوله إلى قباء في هجرته إلى المدينة المنورة وصلى فيه الرسول إلى بيت المقدس وأقام في قباء في بني عمرو ابن عوف ثم انتقل إلى المدينة وأسس مسجده 0 [32]

وجدد بناء مسجد قباء في خلافة عمر ابن الخطاب وللمسجد أهميته الإسلامية وذكرى طيبة تهفو إليها نفس كل مؤمن ولعموم زائري المدينة، ولأن الرسول قال : من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى ركعتين كان له أجر عمرة 0 [33]

وفي عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك تم تجديد المسجد وزيد في توسعته فأرسلت الأسطوانات من دمشق، كما تجدد بناؤه في عهد أبي جعفر المنصور [34]، وفي سنة 555هـ أمر نور الدين محمود زنكي بتجديد بنائه بعد أن أحضرت له أساطين رخامية من بلاد الشام0 [35]

ومن المساجد في المدينة :

مسجد القبلتين:يقع هذا المسجد في الشمال الغربي للمدينة المنورة على حافة وادي العقيق ويقال أن الذي جدد بناؤه أخيرا هو الملك المنصور صاحب اليمن سنة 647هـ 0 [36]

مسجد الفتح : ويسمى بمسجد الأحزاب ويقع في مكان الخندق وقد دعى النبي فيه فاستجاب الله دعاؤه، قام بعمارته عمر بن عبد العزيز حين كان واليا على المدينة من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك حيث شيد أروقته [37]، وفي سنة 575هـ جدد بناؤه الأمير أبو الهيجاء حيث شيد قبابه وأعمدته الرخامية وعقودا محكمة بين أعمدته، وهناك مسجد الإجابة شمال البقيع ومسجد المائدة وكان يسمى بمسجد الجمعة0[38]

المسجد النبوي :

أسس رسول الله مسجده في المدينة المنورة حيث مبرك الناقة، قال ابن هشام :" حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار، بركت على باب مسجده ،وهو يومئذ مربض لغلامين يتيمين من بني النجار 000سهل وسهيل أبني عمرو"[39]، وقال في موضع آخر : " فأمر به رسول الله أن يبنى مسجدا ونزل على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه "[40]، وبجواره من جهة الشرق بنى منزله وكانت أبوابه مطلة على المسجد، وأراد أن يتوسط الأنصار كلها فأحدقت به الأبصار، وكان هذا المكان مصلى أتخذه أسعد ابن زرارة قبل أن يقدم رسول الله

يصلى بالناي الصلوات الخمس ويجمع بهم"[41]، وبدأ الرسول عمارة المسجد النبوي شهر ربيع الأول من السنة الأول للهجرة وباشر العمل فيه بنفسه ليرغب المسلمين للعمل فيه ،وبنيت قبلته أولا فى اتجاه الشمال نحو بيت المقدس، وفى سنة 2هـ عدلت القبلة نحو مكة تلبية للأمر السماوى، ومع تزايد أعداد المسلمين باتت الحاجة إلى توسعة المسجد من فترة للأخرى، وكانت أول توسعة بعد غزوة خيبر سنة 7هـ 0 [42]

وقد ضرب النبي أروع الأمثلة والمثالية في العمل والمشاركة بنفسه في تشييد هذا المسجد وعمارته وقد شاركه الصحابة والمسلمون عمله 0 [43]

وقد جعل مواد بناءه أن يبنى من اللبن واستخدم في سقفه الجريد وعمده خشب النخيل [44]، وجاء تخطيط المسجد بسيطا حيث كان عبارة عن مساحة مستطيلة مكشوفة تحددها أربعة جدران تتمثل في جدار القبلة الذي يمتد من الشرق إلى الغرب في اتجاه بيت المقدس، يقابله ويوازية جدار آخر يماثله، أما الجداران الشرقي والغربي فيمتدان من الجنوب إلى الشمال بهيئة متعامدة على طرفي جدار القبلة، وبعد أن انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى خلفه أبو بكر الصديق فلم يزد على ما كان عليه أيام النبي0

وحين آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب قام بتوسعته وذلك سنة 17هـ من جهة القبلة فقد سمع النبي يقول : "لو زدنا في مسجدنا هذا و أشار بيده نحو القبلة"، وقد أقام أساسه من الحجارة في جوف الأرض بعمق ثلاثة أذرع أي حوالي 1.5 متر[45]، وقد أقام بنيانه من اللبن فوق الحجارة وسقفه بالجريد وعمده بخشب النخل، ولم يغير في الأبواب شيئا عما كانت عليه من قبل 0 [46]

بنى بالمسجد الخليفة عثمان بن عفان وكان ابتداء عمارته سنة 29هـ، ونهاية سنة 30هـ ،حيث زاد عثمان في المسجد زيادة هائلة وجعل مادة البناء الحجارة لشكوى الناس من ضيق المسجد، فزاد فيه من جهة القبلة رواقا ومن جهة المغرب الأسطوانة الثانية ومن جهة الشام عشرة أذرع وقيل خمسين ذراعا، ومن جهة الجنوب مائة ذراعا ولم يزد في أبوابه بل زاد في نوافذه، وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وخشب النخل والجريد وبيضه بالقصة، وبنى المقصورة باللبن، وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إلى الأمام وكان يصلي فيها خوفا من الذي أصاب عمر وكانت صغيرة، وجعل أعمدة المسجد حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد وفيها الرصاص، وسقفه بالساج فجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع [47]، وفي عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك أمر واليه على المدينة عمر ابن عبد العزيز بأن يزيد في المسجد النبوي من جهة الشرق والمغرب وشراء الدور المجاورة بعد دفع الثمن لذويها وأدخلت على أثر هذا حجرات أزواج النبي وثلاث لعبد الرحمن ابن عوف ،ودار عبد الله ابن مسعود ومن جهة الغرب دار طلحة بن عبيد الله، ودار عمار بن ياسر، ودار العباس بن عبد المطلب[48]، وزاد من

جهة المغرب أسطوانتين، ومن جهة الشرق الأسطوانة الخامسة من المنبر إلى جدار المشرق، وزاد من جهة الشام عشرة أساطين وبناه من الحجارة المطابقة، وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ونقش حيطانه بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه من الساج وحلاه بماء الذهب0

ويذكر أنه جعل حيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها ورؤوس الأساطين مذهبة عليها أكف منقوشة مذهبة وكذلك أعتاب الأبواب مذهبة أيضا، وأقام الوليد أربع منائر في زوايا المسجد وتولى ذلك كله عمر بن عبد العزيز أثناء ولايته على المدينة 0 [49]

وفي عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور تصدع جدر المسجد سنة 140هـ فأمر بتجديدها 0

وفي عهد الخليفة المهدي سنة 161هـ ضيق المسجد بحجاج الموسم فأمر واليه على المدينة جعفر بن سليمان بن على العباس بزيادة المسجد من جهة الشام مائة ذراع والشرق والغرب والقبلة خمسين ذراع، ورفع جداره ذراعين عما كان عليه من قبل، وانتهى من زيادته سنه 165هـ 0[50]

واستمر الاهتمام بعمارة المسجد النبوي من قبل الخلفاء العباسيين الذين أخذوا ينفذون الأموال إلى الأمراء على المدينة لتجديد وترميم ما يتصدع من المسجد0

ولما حج نور الدين محمود بن زنكي سنة 555هـ أمر بعمل خندق حول الحجرة الشريفة وقد صب فيه الرصاص، وفي خلافة الناصر لدين الله العباسي عمر المسجد النبوي الشريف بواسطة إرسال النقاشين والصناع من بغداد سنة 576هـ لعمارة المسجد وأرسلت القناديل التي صنعت وهيئت لأضاءته0

ومن حول المسجد الجامع اختطت منازل المهاجرين فى الأرض التى وهبها الأنصار للرسول ،وأقطع الرسول بدوره الصحابة الأراضى لبناء دورهم 0 واتجه إلى الجمع بين ذوى القربى فى موضع واحد 0 [51]

واتخذ الرسول من مسجده مكانا للقاء المسلمين، وجامعة يتعلمون فيها أمور دينهم وأحوال دنياهم، وفيه كان الرسول يتلقى الوحى فيعلم المسلمين ما ألقى إليه من ربه، وفيه كانت تعقد المعاهدات، وتمضى العهود، ويعلن عن الجهاد، وتقلد الرايات، وينظر فى المظالم، وتستقبل الوفود 0 [52]

عاشت مدينة الرسول عصرا من الاستقرار السياسى لم تعرفه من قبل، كما عاشت فترة من الرخاء الاقتصادى فقد أصبحت رؤوس الأموال ومصادر الدخل فى أيدى أهلها، خاصة

بعد جلاء اليهود عنها، وتهيأت للدفاع عن دين الإسلام بل أخذت على عاتقها حماية هذا الدين ونشره خارج شبة الجزيرة العربية

بجانب المسجد النبوى، كانت هناك مساجد اشتملت عليها خطط المدينة، تلبى حاجات المصلين فى هذه الخطط للصلوات الخمس فقط، أما الصلوات الجامعة فكانت فى مسجد الرسول باعتباره المسجد الجامع، وكان لكل قبيلة فى خطتها مقبرة خاصة لها حسب التقليد القبلى، وبالرغم من أن البقيع أصبحت سنة 10هـ / 631م أرض دفن جامعة، فإن كل قبيلة عرفت لها جزءا من أرضها استخدمته للدفن 0 [53]

واستكمالا لمرافق المدينة العمرانية اهتم الرسول بانشاء السوق اتخذه فى موقع بقيع الزبير، واعترض عليه كعب بن الأشراف أحد زعماء اليهود المناوئين للإسلام فنقلها الرسول إلى موقع سوق المدينة، وقال : " هذا سوقهم فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج" 0 [54]

وكان سوق المدينة فضاء واسعا لا بناء فيه، والمكان لمن سبق، وضربت فيه الخيام، ولم يبدأ بالسوق إلا فى بداية العصر الأموى وذلك بداية من عهد معاوية 0

واتخذ الرسول المعسكرات لجنده خارج المدينة على مسافة منها، ومثال لذلك معسكر الجرف الذى بعد عن المدينة ثلاثة أميال اتجاه الشمال 0 [55]

وظلت مدينة الرسول عاصمة للخلافة الإسلامية وحاضرة للمسلمين خلال عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة 0

ومرت الأحداث العنيفة التى ميزت عصر عثمان بن عفان وعبرت الأمة المحنة يوم كانت بلا إمام إلى أن انتخب الإمام على كرم الله وجهه إماما للمسلمين، ولما غادرها إلى العراق فارقتها الخلافة، وزال عنها مقر الحكم إلى دمشق ومنها إلى بغداد 0 [56]

3- الكوفة 17هـ / 638م[57]

السبب فى بنائها، يذكر أنه بعد فتح المسلمين للعراق كانت رسلهم ترد على عمر ، فيرى فى وجوههم، وألوانهم تغيرا، فسألهم عن سر ذلك فقالوا له : وخومة البلاد، فكتب إلى سعد بن أبى وقاص انبئنى ما الذى غير ألوان العرب ولحومهم فكتب إليه "إن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة"، فكتب إليه عمر "إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق ابلها من البلدان فابعث سلمان وحذيفة وكان رائدى الجيش دائنين فليرتادا منزلا بريا وبحريا ليس بينى وبينكم منه بحر ولا جسر[58] فبعث سعد بن أبى وقاص سلمان وحذيفة يسيران غربى الفرات حتى أتيا موضع الكوفة" وهو حصباء ورمل فأتيا عليها وفيها مميزات ثلاث هى : ارتفعت أرضه عن البقة، وتطأطأت عن السخة، وتوسطت الريف، وظعنت فى آنف البرية[59]، فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا، ودعوا الله أن يبارك لهم فى هذه الكوفة وكتب إلى سعد بالخبر، فأبلغه سعد إلى

الخليفة عمر بن الخطاب فأمره أن يسير بالجنود إليها فأرسل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة فى المحرم سنة 17هـ / يناير 638م 0 [60]

وكان عمر يريد أن يقيم المسلمون فى خيامهم، لأن ذلك أجد فى حروبهم، وأذكى لهم، وأهيب فى عين عدوهم، ولما استأذنه أهل الكوفة والبصرة فى بنيان القصب لم يحب أن يخالفهم، وأذن لهم فابتنى أهلها بالقصب، ثم أن الحريق وقع فى الكوفة وبالبصرة[61] فاستأذنوا عمر فى البناء باللبن، فقال : " أفعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات (حجرات)، ولا تطاولوا فى البنيان " وجعل على تنزيل أهل الكوفة والإشراف على بناءها أبو الهياج ابن مالك الأسدى 0 [62]

أرسل سعد إلى أبى الهياج فأخبره بكتاب عمر فى الطريق : من " أنه أمر بالمناهج – الشارع الرئيسى – أربعين ذراعا، وما يليها الشوارع الثانوية ثلاثين ذراعا، وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبعة أذرع ،وليس دون ذلك شئ، وفى القطائع ستين ذراعا 0 [63]

وكان أول شئ خط بالكوفة مسجدها فاختطوه، وجاء تخطيط المسجد في عهد الوالي سعد ابن أبي وقاص من مساحة مربع تنقسم إلى صحن وظلة القبلة، ثم قام فى وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه وشماله، ومن بين يديه ومن خلفة، ثم أمر ببناء الخطط وراء مواقع السهام، وبنى فى مقدمة المسجد ظله ذرعها مائتان على أساطين رخام كانت للأكاسرة، وبنوا بجوار المسجد دار الإمارة بينها وبين المسجد طريق منقب مائتى ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال، وبنى ذلك له رورية الفارسى من أجر بنيان الأكاسرة بالحيرة 0 [64]

وبالنسبة لتقسيم الخطة بين أفراد القبيلة، فإن اليعقوبى يذكر ذلك بقوله : "إن كل قبيلة كانت تقسم الخطة المخصصة لها " وكان الأمر متروكا لحرية تصرف اختيار القبيلة، وكان لكل قبيلة فى خطتها مسجد ومقبرة خاصة بها 0

ومن هذه المنطقة "وسط المدينة" امتدت الشوارع "المنهاج" خمسة فى اتجاه الشمال، وأربعة فى اتجاه الجنوب، وثلاثة فى اتجاه الشرق، وثلاثة فى اتجاه الغرب، وأطلق عليها "مناهج أهل العزم" وكانت الشوارع الثانوية تسير موازية للشوارع الرئيسية، وأحيانا متقابلة معها، وأطلق عليها "منهاج الدهناء"[65]، ثم يلى ذلك الشوارع الفرعية التى كانت أقل اتساعا، وتربط التكوينات المعمارية بالشوارع الثانوية والرئيسية 0 [66]

وبالنسبة لتقسيم الخطة 000

كان سوق المدينة فى منطقة الوسط، وكان عبارة عن ساحة مضاء كما هو الحال وسوق المدينة المنورة، حيث كان الخليفة عمر بن الخطاب حريصا على أن تظل السوق بالهيئة التى أقرها الرسول فى المدينة[67]، وأشار اليعقوبى أن السوق فى الكوفة كان فضاء لا توجد به مبان أو سقف سوى تلك الظلل التى عملت لتظل البائعين فى أماكنهم التى اختاروها، واستمرت

السوق على هذه الهيئة فى عهد هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) عندما قام عامله على الكوفة خالد القسرى بإنشاء الأسواق على هيئة معمارية جديدة، تشتمل على جوانب سفلية ومساكن علوية لمبيت التجار 0 [68]

وقد اتخذ على بن أبى طالب الكوفة قصرا لخلافته، وذلك لأن بها شيعته وأنصاره، ولخصوبة أرضها، وكثرة خيراتها، ووقوعها فى مكان متوسط بين أقاليم الدولة الإسلامية، ولأنها من وجهة نظره أصلح من غيرها فى حرب معاوية بالشام[69]، وما زال لها شأن عند الشيعة إلى وقتنا الحالى، وفى ولاية عبد الله بن زياد، بنى المسجد وأنفق عليه نفقات طائلة، حتى أصبح فريدا بين مساجد زمانه0 [70]

ثم اتسعت الكوفة وامتد عمرانها حتى بلغت فى أوائل القرن الرابع الهجرى ستة عشر ميلا وثلثى ميل، وبنى فيها خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربع وعشرون ألف دار لسائر العرب، وسته آلاف دار لليمن 0 [71]

والتخطيط الذى وضع لبناء الكوفة، يدل دلالة واضحة عن نظام هندسى راقى، فضلا عن كونه يتلاءم مع طبيعة العرب، فلم يحجب هواء البادية عن أهلها الذين نشأوا فى بادية الجزيرة العربية، لكثرة الشوارع واتساعها، فعاد إليهم نشاطهم واستردوا حيويتهم وقوتهم 0 [72]

3- البصرة 17هـ / 638م [73]

البصرة أقدم المدن الإسلامية، وهى تقع عند ملتقى دجلة والفرات فى الموضع المعروف بشط العرب، وموقعها قريب من الماء والمراعى فى طرف البر إلى الريف فيه قصباء – ما يشبة البوص – ودونه منافع ماء، وهى إحدى أمهات مدن العراق الشهيرة، وهى مدخل العراق الجنوبى وتقع فى ملتقى البحر والسهل والخصب والصحراء إذ هى مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين 0 [74]

وعن تاريخ بناؤها هناك اختلاف بين المؤرخين فى تحديد ذلك حيث ذكر أنها بنيت قبل الكوفة فى سنة 14هـ، ويذكر البعض أنها بنيت بعد الكوفة سنة 17هـ، ويمكن الجمع بين الآراء فى أن العرب نزلوها سنة 14هـ إلا أنها لم تخطط إلا فى سنة 17هـ تلك السنة التى خططت فيها الكوفة، ويؤكد ذلك قول الطبرى : " أن أهل الكوفة والبصرة استأذنوا الخليفة عمر فى بنيان القصب فلم يحب أن يخالفهم فأذن لهم فابتنى أهلها بالقصب، فلما وقع حريق بالكوفة والبصرة استأذنوا الخليفة عمر فى البناء باللبن فقال " افعلوا ولا يزيد أحدكم على ثلاث حجرات ولا تطاولوا فى البنيان، وكتب إلى عقبة بن غزوان وأهل البصرة بمثل ذلك، وجعل على تنزيل أهل البصرة والإشراف على بناءها عاصم بن الدلف أبو الجرداء 0

وكان السبب فى نزول المسلمين بها سويد بن قطبه الذهلى كان يغير على العجم فى ناحية الخريبة من البصرة قبل أن ينزلها، ولما بلغ عمر خبره وما يصنع بالبصرة، رأى أن

يوليها رجلا من قبله، وأن ينزلها المسلمين، ليحولوا بين أهل فارس ومن إليهم، وإمداد اخوانهم من أهل المدائن ونواحيها، فولاها عتبه بن غزوان، وقال له : أن الحيرة قد فتحت فأت أنت ناحية البصرة، واشغل من هناك من أهل فارس والأهواز وميسان عن امداد إخوانهم فسار إليهم عتبة فى أكثر من ثلاثمائة رجل انضم إليه سويد بن قطبة وغيره من الأعراب وأهل البوادى، ونزلها فى ربيع الأول أو الآخر سنة أربعة عشر 0 [75]

كتب بن غزوان إلى الخليفة عمر يستأذنه فى تمصير البصرة وقال له : "إنه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا اشتوا ويكسون – يستترون – فيه إذا انصرفوا من غزوهم[76]، فكتب إليه الخليفة عمر : إن ارتد لهم منزلا قريبا من المراعى والماء، واكتب إليا بصفته، فكتب إليه "إنى قد وجدت أرضا كثيرة الفضة – الحجارة – فى طرف البرالى الريف، ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء " 0 [77]

ولما وصلت الرسالة إلى عمر قال : "هذه أرض بصرة، قريبة من المشارب والمراعى المحتطب"[78] وكتب إليه أن أنزلها، فنزلها وبنى مسجدها من قصب باعتباره نواة المدينة، وبجواره عن قرب دار الإمارة، ثم أقطعت القبائل خططها حول المسجد، وخططت الشوارع فجعلوا عرض شارعها الأعظم ستين ذراعا، وجعلوا عرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعا، وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمربط خيلهم وقبور موتاهم وتلاصقوا، ولم يفعلوا ذلك إلا عن رأى اتفقوا عليه، أو نص لا يجوز خلافة، وتركت حرية تقسيم الخطط للقبائل التى اختطت وبنيت منازلها[79]، وبنى الناس منازلهم من القصب فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب، ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو، فيعيدون بناءها كما كان وهكذا 0 [80]

ولما مات عتبة بن غزوان ولى عمر عليها أبا موسى الأشعرى سنة 17هـ/638م وظل حتى سنة 19هـ/640م[81] وفى عهده بدأت تزداد أهمية البصرة وزاد عدد المهاجرين إليها، وأدى ذلك إلى تطورها فاختط الناس، وبنوا المنازل باللبن، بعد أن أذن لهم عمر فى ذلك لأن القصب كان يحترق "كما ذكرنا"، وبنى أبو موسى الأشعرى المسجد الجامع بها باللبن والطين وكذلك دار الإمارة، وسقفها بالعشب[82] ،ويعد مسجد البصرة من الساجد الأولى التي شيدت خارج شبه الجزيرة العربية في العصر الراشدي، وكان من مساحة مربعة خططت على هيئة صحن وظلة للقبلة على غرار المسجد النبوي، وأمر الناس بالبناء فى الخطط التى فتحت لهم، واتجه إلى تزويد المدينة بالماء الصالح للشرب ولا سيما أن المياه التى كانت تصل إليها كانت مالحة، فبدأ مشروع حفر نهر الأبلة[83] ،الذى تم فى عهد عبد الله بن عامر (25–36هـ/646–657م)، وهو وغيره من مجموعة الأنهار التى زودت المدينة بالماء اللازم، ووصلتها تجاريا بالأقاليم المجاورة فدفع ذلك إلى نموها وازدهارها 0 [84]

وساهم عبد الله بن عامر أثناء ولايته للبصرة على تطويرها حيث شجع العمران بالمدينة، ومنح الإقطاعات للأشخاص لزيادة الإنتاج، واتخذ الأسواق بالمدينة، فقام بشراء عدد من الدور وبنى فى موضعها سوقا ولا سيما المربد لم تعد قادرة على سد الحاجات الجديدة بالمدينة 0 [85]

ولما استعمل معاوية بن أبى سفيان زياد بن أبيه واليا على البصرة سنة 55هـ/674م مرت البصرة بمرحلة تالية من التطور، حيث بدأت المنازل وغيرها تبنى بالأجر والحصى فأعاد بناء الجامع ودار الإمارة بهذه المواد وسقفه بالساج، وبنى منارة المسجد بالحجارة فصار من أحسن الأبنية[86] كما أعاد زياد بن أبيه تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها السكنية، متبعا نفس نظام الكوفة، فقسمها إلى خمسة أخماس، كل خمس مجموعة من العشائر التى تنتمى إلى قبيلة واحدة ويرأسه رئيس من تلك القبيلة، وسهل ذلك فى إدارة المدينة، وسهل استنفار الجند وهذا هو الهدف الأسمى من هذا التقسيم 0[87]

كما شجع زياد بن أبيه على تأسيس الأسواق حيث بنى "مدينة الرزق" وهى عبارة عن سوق واسعة لها أربعة أبواب وتحتوى على أنشطة اقتصادية، كما أنه اهتم بإنشاء الوحدات العمرانية المتصلة بإتساع المدينة وزيادتها، كالمحلات والمربعات والحمامات 0 [88]

وصاحب اتساع مدينة البصرة زيادة فى عدد سكانها ويدل على ذلك أن عدد مقاتليها خلال عهد زياد بن أبيه بلغ ثمانين ألفا، وعيالهم مائة ألف وعشرين ألف عيل 0 [89]

ونظرا لموقعها المتوسط بين الشام وفارس، أسرع إليها العمران واتخذها الأمويون مقرا لإمارة العراق فاتسعت عمارتها حتى بلغت مساحتها فى إمارة خالد بن عبد الملك القسرى(106-120هـ) فرسخين[90] ،والفرسخ يساوى 5544متر 0 [91]

وكانت البصرة خلال العصر العباسى ملتقى التجارة، وتجارتها تمتد شرقا إلى الهند والصين، وغربا إلى أقصى بلاد المغرب، وجنوبا إلى الحبشة، واشتهر أهلها بالأسفار التجارية إلى كل الجهات، ويؤكد ابن الفقيه الهمذانى، على شهرة تجار البصرة وكسبهم فى الاتجار مع البلاد المختلفة، بقوله : "أبعد الناس نجعه – سعى وراء الكلأ – فى الكسب بصرى وحميرى" [92] 0

ومما زاد أهمية البصرة التجارية خلال العصر العباسى أنها ورثت نشاط الأبلة التجارى، حيث انتقل إليها عدد كبير من التجار، فزاد عمرانها وتوسعت حدودها حتى أصبحت الآبلة وعبادان أشبه بضواحى البصرة، ويؤكد المقدسي ذلك بقوله : "أما البصرة ضمن مدنها الآبلة" [93] 0

ومن الجدير بالذكر أن الأهمية التجارية والاقتصادية للبصرة قد لفتت أنظار الخلفاء العباسيين، لكونها تدر موارد غير قليلة على خزينة الدولة، سواء عن طريق مزاولتها النشطة للتجارة أو من تردد عدد كبير من التجار الغرباء أصحاب الثروات عليها أو الإقامة فيها مما

حفز بعض الخلفاء على إدخال بعض الإصلاحات فيها واستحداث الخدمات العامة، منها انتقاء خبرة الولاة لإدارتها، ومداومة الإشراف عليها، وإيصال المياة العذبة من نهر دجلة إليها[94]، قال البلازدى : وكان الولاة والإشراف بالبصرة يستعذبون الماء من دجلة ويحضرون الصهاريج 0 [95]

وكانت مياه البصرة مرسى مئات السفن التجارية التى كانت تحمل أصناف التجارات منها وإليها، وقد أشاد المقدسى بتجارتها قائلا :لم تسمع بخز البصرة وبزها وطرائفها وبأزرها، وهى معدن اللؤلؤ والجواهر وفرضة البحر ومطرح البر[96] ولذا تكاثرت ثرواتها وبنى أهلها القصور والحدائق، وأنشأوا البرك والميادين 0 [97]

وهكذا تحولت البصرة من مجرد معسكر حربى إلى مدينة ذات معايير مدنية واضحة، تمثلت فى مناحى الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية 0

4- دمشق :

تقع دمشق في أرض مستوية على خط طول 30شرقي غرينتش وعلى درجة عرض 33شمالا إلى الشرق من المنحدرات الشرقية لجبال لبنان الشرقية، وتتكون من ثلاثة أقسام طبيعية هي المنطقة السهلية والمنطقة الجبلية المحيطة بالمدينة، ويشرف على دمشق من جهة الغرب جبل الشيخ ويعرف بجبل الثلج بينما تتصل من الشرق والجنوب ببادية الشام ولذا تتمتع بموقع جغرافي فريد، ويصفها اليعقوبي بقوله : " ومدينة دمشق مدينة جليلة قديمة، وهي مدينه الشأن في الجاهلية والإسلام، وليس لها نظير في جميع أجناد الشأن في كثرة أنهارها وعمارة نهرها الأعظم يقال له بردا 000وكانت منازل ملوك غسان، وبها آثار لآل حفنة والأغلب على مدينة دمشق أهل اليمن، وبها قوم من قيس، ومنازل بني أمية وقصورهم أكثر منازلها وبها خضراء معاوية، وهي دار الأمارة ومسجدها الذي ليس في الإسلام أحسن منه بالرخام أو الذهب000"، ودمشق من المدن القديمة فى بلاد الشام[98] وهى مدينة الشام فى الجاهلية والإسلام، وليس لها نظير فى جميع مدن الشام فى كثرة أنهارها وعمارتها، ونهرها الأعظم يقال له "بردا"[99] وهى قلعة من قلاع العلم والحضارة يشهد بذلك تاريخها القديم وقد توالى على دمشق كثير من الحكام فاهتموا بها، وجعلوا منها قبلة للعلماء، حكمها الآراميون واليونانيون والرومان والبيزنطيون، ودخلها المسلمون فاتحين فى عصر الفاروق عمر سنة أربع عشرة حيث افتتحها أبو عبيدة بن الجراح من باب لها يقال له باب الجابية صلحا، بعد حصار سنة، ودخلها خالد بن الوليد من باب يقال له الشرقى بغير صلح، فأجاز أبو عبيده الصلح فى جميعها وكتبوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب فأجاز ما عمل به أبو عبيده[100]، لتبدأ مرحلة جديدة فى تاريخها، ولتسهم فى بناء صرح الحضارة الإسلامية 0

ودمشق بحكم موقعها الجغرافى ملتقى الحضارات، فهى منذ القدم البوتقة التى انصهرت فيها حضارات الشرق القديم، من العراق ومن بلاد الحيثيين ومن مصر، وظل دورها كمركز من مراكز الحضارة علامة بارزة فى تاريخها 0

وكانت دمشق خلال العصر الأموى حاضرة الدولة الإسلامية، حيث اتخذها الخلفاء الأمويون مقرا لهم بنى بها معاوية دار الإمارة وكان بناء المسجد الأموى نقطة تحول فى تاريخ المدينة، إذ أصبحت واحدة من أهم المدن الإسلامية0

المسجد الأموي :

يعد المسجد الأموى أهم الأثار الإسلامية بها 0 ويقول ابن جبير أن المسجد الأموى من أشهر جوامع الإسلام حسنا، واتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين، وشهرته المتعارفة فى ذلك تغنى عن استغراق الوصف فيه 000أنتدب لبناءه الوليد بن عبد الملك رحمه الله ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإشخاص أثنى عشر ألفا من الصناع من بلاده000فأمتثل أمره 000فشرع في بناءه وبلغت الغايات في التأنق فيه، وأنزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء، وخلطت بها أنواع الأصبغة الغريبة ،قد مثلت أشجارا، وفرعت أغصانا منظومة بالفصوص، ببدائع من الصنعة الأنيقة المعجزة وصف كل واصف000وذكر أنه وضع في بناءه مائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار ومائتا ألف دينار، فكان مبلغ الجميع أحدا عشر ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار"0 [101]

وقد جاء المسجد يشغل مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب طولها 156م بعرض 97م، وفي سنة 475هـ /1182م غطيت الثلاث قباب بجمالون يتوسطه قبة حجرية من قبل السلطان ملكشاه السلجوقي ويصل أرتفاعه عند البلاطة الوسطى 23م بينما أرجاء المسجد 15م0

أما الصحن فقد جاء من مساحة مستطيلة يبلغ طولها 125م تقريبا ويزيد عرضها عن 60م تحيط به ظله من جوانبه الثلاثة الشمالية الغربية، والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية وتتكون كل ظلة من بلاطة واحدة0

ويروى أن المسجد أصلا هو ما اختطة أبو عبيده بن الجراح أحد قادة الفتح، وكان قد دخل المدينة بعد فتحها صلحا سنة 13هـ/634م واستولى على النصف الشرقى للكنيسة المسيحية بها وصيره مسجدا، وهو جامع دمشق المعروف[102] وظل النصف الغربى بأيدى المسيحيين وفقا لشروط الصلح 0

وفى رواية أخرى أن المسجد أقيم مكان معبد وثنى قديم للإله جوبتر :حوله الإمبراطور ثيودور سنة 379م إلى كنيسة عرفت باسم كنيسة القديس يوحنا، فبنى أبو عبيده بن الجراح المسجد الأول فى دمشق، فلما جاء الوليد بن عبد الملك أرسى مسجده مكان المعبد والجامع والكنيسة معا 0 [103]

ويرى علماء الأثار أن المسجد الأموى فى دمشق بنى كله دفعة واحدة ولم يدخل فى بنائه الكنيسة أو المعبد، كما لم يكن بناؤه استكمالا لبناء سابق، ذلك لأن الوليد بناه دفعة واحدة – وظل بناءه لمدة ثمانية أعوام، وانفق عليه خراج الدولة الإسلامية سبع سنين 0 [104]

والمسجد الاموى من المساجد الجامعة العظيمة فى الإسلام، وقد كان موضع عناية واهتمام الخلفاء والملوك والسلاطين والحكام فزادوا فيه، واحتل مكانة بارزة فى تاريخ الحضارة الإسلامية، فهو الذى جعل المدينة تتوق إليها الأنظار، ويؤمها العلماء ورجال الدين، ويفد إليها طلاب العلم من كل مكان، وظلت مدينة دمشق حاضرة الشام عاصمة للخلافة الإسلامية حتى انتهاء الدولة الأموية[105]

قصر الخضراء والصفراء :

نزل الأمويون مدينة دمشق في العصر الراشدي وبنوا فيها قصورهم ومنازلهم ومنها خضراء معاوية التي أقامها معاوية ابن أبي سفيان أثناء ولايته على الشام في خلافة عثمان بن عفان ثم أصبحت دار للأمارة، وبقيت قصر الخلافة الأموية بعد إعلان الدولة الأموية في عام 41هـ / 661م ويعد هذا القصر من روائع العمارة بدمشق ويقع إلى الجنوب من سور الجامع عرف بقصر الخضراء لأن القبة والجدران طليت باللون الأخضر، مر القصر بمرحلتين من العمارة وظل مقرا للأمويين حتى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك(96-99هـ/715-717م) حيث اتخذ مقرا آخر بدل من قصر الخضراء فشيد قصرا بدرب محرز في موضع سقاية جيرون وجعل له قبة صفراء "

5- الفسطاط 21هـ /641م:

دخل عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية بعد فتحها، ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها فهم أن يسكنها وقال :"مساكن قد كفيناها" 0 [106]

فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك، فسأل الخليفة رسول عمرو : هل يحول بينى وبين المسلمين ماء، قال نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل، فكتب الخليفة عمر إلى عمرو : "أنى لأحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف[107]، على ذلك تحول عمرو عن الإسكندرية إلى الفسطاط، واختار موضع الفسطاط على الشاطئ الشرقى للنيل بجوار حصن بابليون 0

ويحدد المقريزى موقع مدينة الفسطاط حين اختطها العرب فيذكر : "أنه كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم، ولم يكن فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف بقصر الشمع، وبالقلعة وكان بجوار هذا الحصن من بحرية، وهى الجهة

الشمالية أشجار وكروم، فضاء موضعها الجامع العتيق وكان فيما بين الحصن والجبل عدة كنائس للنصارى 000 " 0 [108]

هذا ويدل موقع الفسطاط على نظرة صائبة من قبل العرب إذ يمتاز موقع هذه المدينة بتوسطه بين مصر السفلى، والعليا، وله عدة مزايا تجارية وسياسية وحربية، فقد اثبتت الحفريات أنها قامت على كتلة عظيمة من الصخر، تشمل هضابا ووهادا وكان وجودها على تلك الربوة يمنع فيضان الماء عليها، وكانت هذه الربوة مغطاة فى وقت ما باحجار كبيرة جدا، فكسرت وسويت 0 [109]

وكان جانب المدينة الشرقى جبليا، يتكون من جبال حجرية غير عالية كالتلال، وكانت تبدو حين ينظر إليها من بعيد كأنها جبل[110] وقد اعتاد العرب عامة على اختيار عواصمهم بعيدة عن السواحل 0 [111]

وبهذا تحققت للفسطاط الحماية الطبيعية، وكان وجودها على رأس الدلتا قد جعلها فى مأمن من هجمات العدو فيحميها من الشرق جبل المقطم ضد العدو وضد فيضان النيل، كما كان لها جانب يمكن أن يضطرد اتساعها منه وهو الشمال، وبنيت العسكر والقطائع فى هذه الناحية 0 [112]

وقد تعددت آراء المؤرخين حول لفظ فسطاط الذى أطلق على العصمة الجديدة، من اشهر هذه الآراء أنها سميت نسبة إلى فسطاط عمرو أى خيمته، الذى تركه فى ذلك المكان عندما أراد التوجه إلى الإسكندرية بعد فتح حصن بابليون، إذ وجد يماما قد فرخ فقال عمرو : "لقد تحرم منا بحرم" وأقر فسطاطه كما هو وأوصى به صاحب الفقر، ولما عاد المسلمين من الإسكندرية قالوا أين ننزل ؟ قال : الفسطاط، أى لفسطاطه الذى كان خلفه 0 [113]

ويذكر الجواليقى أن لفظ فسطاط فارسى معرب[114]، والأصوب أن هذا اللفظ مشتق من اللفظ اليونانى "فساطن" المشتق من اللفظ اللاتينى **(Fossatum)** الذى يطلقه الرومانيون على معسكراتهم الحربية، وكانت كلمة فسطاط شائعة فى أرجاء الامبراطورية البيزنطية حيث كانوا يطلقونها على معسكراتهم الحربية وتؤيد أوراق البردى ذلك القول، فاسم فسطاط كان موجودا قبل تأسيس الفسطاط، وقد احتفظ العرب بتلك التسمية بعد ما احتلوا المعسكر الحربى 0 [115]

كانت الفسطاط أول أمرها مدينة متواضعة مشيدة باللبن لا يعلو بنيانها على الطابق الواحد[116]، وكان هذا يتفق مع حياة البساطة التى كان عليها المسلمون فى ذلك الوقت، كما جرت العادة لدى العرب بدأ عمرو بإنشاء المسجد الجامع، وخط فى المنطقة المحيطة به سوقا ومن حول ذلك السوق اختطت الخطط للقبائل وجعلت خطة "أهل الرأى" قريبة من المسجد[117]، واختط عمرو داره بجوار المسجد، وحول داره والمسجد خطط القبائل العربية وغيرهم من أقوام الفرس والروم الذين سبق لهم الدخول فى الإسلام 0 [118]

ويشير وصف هذه الخطط إلى أن بعضها اختص بقبيلة واحدة، وأن القبائل الكبيرة العدد كان لها أكثر من خطة، والقبائل محدودة العدد ضمت مع بعضها فى خطة واحدة 0 [119]

وكانت خطط القبائل العربية تمتد من النيل غربا حتى عين الصيرة شرقا، ومن جبل يشكر شمالا حتى الشره وجبل الرصد (اسطبل عنتر جنوبا)[120] وبلغت خططها سبعا وأربعين خطة عند إنشائها [121] وأطلقت على كل خطة اسم القبيلة التى استقرت فيها، وتركت حرية تقسيم كل خطة لأفراد القبيلة، وكان بكل خطة مسجد أو أكثر، وتضمنت الخطط ساحات فضاء أو رحاب استغلت فى أغراض مختلفة 0 [122]

ولم تكن خطط الفسطاط لجميع قوات عمرو، وذلك لأن عمرو بن العاص كان قد استبقى نصف قواته للإقامه بالفسطاط، فى حين أرسل فريقا من قواته للمرابطة بالإسكندرية وسائر الثغور المصرية 0 [123]

وعلى الرغم من أن الفسطاط بدأت متواضعة إلا أن العرب سرعان ما تخطوا البساطة وتوسعوا فى البناء إذ شيد عبد الله بن سعد بن سرح والى مصر (25–35هـ) من قبل الخليفة عثمان بن عفان قصرا كبيرا عرف باسم "قصر الجن" 0 [124]

كما بنى مروان بن الحكم لنفسه بعد أن ولى الخلافة دارا عظيمة عند قدومه إلى مصر سنة 65هـ / 684م، كذلك شيد بها عبد العزيز بن مروان دارا ضخمة أطلق عليها دار الذهب، وجعل لها قبة كانت إذا طلعت الشمس عليها لا يستطيع الناظر التأمل فيها خوفا على بصره، ويقال إن الدار كانت من الضخامة لدرجة أنها سميت بالمدينة لعظم سعتها 0 [125]

وبنى بالفسطاط أيضا الحمامات والأسواق، والميادين كما أسس لها المصانع المختلفة، فبنى عبد العزيز بن مروان قيساريات العسل والحبال والبز، وبنى هشام بن عبد الملك قيساريته التى تعرف بقيسارية هشام[126]، وهكذا شقت الفسطاط طريقها لأن تكون مدينة ذات حضارة لأن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التى تدعو إليها الترف والدعة وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها0 [127]

وعلى الرغم ما تعرضت له الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية من تدمير خلال الاضطرابات التى تعرضت لها بعد ذلك، فان المدينة أخذت تنمو حتى أصبحت دهشة الرحالة القادمين من كل مكان فقد وصفها الاصطخرى المتوفى سنة 340هـ / 990م أن دور الفسطاط تتكون من أربع طبقات وخمس كالمنائر، يدخل إليها الضياء من الوسط وأنه يسكن الدار الواحدة مائتى نفس 0 [128]

أما ناصر خسرو الذى زار مصر خلال القرن الخامس الهجرى فقد ذكر أن الفسطاط تبدو بعيدة كالجبل لارتفاع منازلها التى تتراوح بين سبع طبقات وأربع عشرة طبقة، كما أشار إلى أن شوارعها تضاء نهارا بالقناديل لأن ضوء الشمس كان لا يصل إلى أرضها 0 [129]

ووصف القضاعى الفسطاط خلال القرن الخامس الهجرى بأن لها ستة وثلاثون ألف مسجد، وثمانية ألف شارع ومائة وسبعون حماما 0 [130]

ومن الملاحظ أن الفسطاط ظلت تحتل مكان الصدارة والأهمية وظلت تزدحم بالسكان، وكان ساحلها عامر بالمراكب كما كان بها داران للصناعة – صناعة السفن – وهما صناعة الروضة، وصناعة الفسطاط 0 [131]

تعرضت الفسطاط أكثر من مرة للتخريب ففى سنة 132هـ / 749م أمر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أميه بإحراقها أثناء فراره أمام جيوش العباسيين بعد انسحابه منها 0 [132]

كذلك تعرضت المدينة للسلب والنهب عندما قام محمد بن سليمان قائد الجيش العباسى سنة 292هـ/905م بمحاربة الطولونيين[133]، وتعرضت المدينة للنهب على يد الجنود الفاطميين زمن الخليفة الحاكم بأمر الله، والخليفة الظاهر، وكان أخطر ما تعرضت إليه الفسطاط من تخريب خلال أيام الشدة العظمى زمن الخليفة المستنصر بالله سنة 457–464هـ / 1065–1071م 0 [134]

كما منيت الفسطاط بخراب عظيم أتلف معظم مرافقها وذلك أثناء الصراع الذى نشب بين شاور وضرغام وزيرى الخليفة الفاطمى العاضد لدين الله سنة 564هـ / 1168م، وذلك بعد أن أمر شاور بإخلائها من سكانها، وبعث إليها بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار، وفرق ذلك لمنع الجيش الصليبى بقيادة عمورى ملك بيت المقدس من الاستيلاء على مصر، واستمرت النيران مشتعلة فيها حوالى أربعة وخمسين يوما 0 [135]

ومنذ هذه الحادثة أفل نجم الفسطاط رغم أن صلاح الدين الأيوبى حاول أن يجمع بين القاهرة وما بقى من الفسطاط بسور واحد[136]، حيث تحولت الفسطاط إلى الأطلال المعروفة الآن "بكيمان" وحسبنا دليلا على ما أصابها من خراب وتدهور ذلك الوصف الذى تركه لنا الرحالة المغربى على بن سعيد الذى زار مصر سنة 644هـ / 1246م، إذ يقول : "ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة وتأملت أسوارا مثلمة سوداء، وأفاقا مغبرة، ودخلت من بابها وهو دون غلق يفضى إلى خراب مغمور بمبان مشتته الوضع، غير مستقيمة الشوارع، قد بنيت من الطوب الأدكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال ما يقيض نفس النظيف وبعض طرف الظريف 000[137]، ومع مطلع القرن التاسع الهجرى كان ميناء الفسطاط قد تلاشى، كما تدهورت الفسطاط وفقدت أهميتها الاقتصادية بشكل تدريجى حتى هجرها الناس فى نهاية القرن التاسع الهجرى 0 [138]

6– القيروان50هـ / 670م :

يذكر أن عقبة بن نافع الفهرى خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حديج سنة ستة وأربعين ومعه بسر بن أبى أرطأة، وشريك بن سمى المرادى ومعه ناس آخرون واصل فتوحة واستيلائه على الحصون حتى وصل القيروان الذى كان معاوية بن حديج قد بناه قبله فلم يعجبه، فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان، وكان واديا كثير الشجر كثير القطف تأوى إليه الوحوش والسباع والهوام، نادى بأعلى صوته : يأهل ارتحلوا رحمكم الله فإنا نازلون، نادى بذلك ثلاثة أيام 0 [139]

وكان عقبة مستجاب الدعوة، ثم نادى : أيتها الحيات والسباع انا أصحاب رسول الله أرحلوا عنا، فإنا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم إلى الدواب تحمل أولادها وتنتقل، فرآه قبيل كثير من البربر فأسلموا، وقطع الأشجار، وأمر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع، وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع والباع يساوى 1.84مترا 0

وكان عقبة أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب، واتسعت خطة المسلمين، وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها وكان ذلك سنة 50هـ / 670م 0 [140]

ويذكر ابن عذارى المراكشى أن أصحاب عقبة أشاروا عليه أن يتخذ عاصمته فى أفريقية قريبة من البحر حتى يتسنى لهم الجهاد والرباط، إلا أن عقبة رد عليهم قائلا "أنى أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها صاحب البحر إلا وقد عام به" 0 [141]

وكان عقبة موفقا فى اختيار موقع المدينة، حيث أن بعدها عن البحر يجعلها فى مأمن من غارات الأساطيل البيزنطية، وأن موقعها الداخلى بالقرب من الأراضى السبخة جعلها تشرف على المراعى التى سهل على ابل وخيول وحاشية المسلمين ارتيادها 0[142]

بنى عقبة بن نافع مدينة القيروان مكان حصن قديم للدولة، وكانت القيروان رابع مدينة إسلامية يؤسسها المسلمون فى الأمصار، وقد بدأ بناءها سنة 50هـ/670م انتهى سنة 55هـ/675م 0

مسجد القيروان:

اهتم عقبة بن نافع بالعاصمة الجديدة، وكان المسجد هو أول ما اختط فيها، وقد وصف المؤرخون اهتمام عقبة بالمسجد الجامع بالقيروان، حتى أنهم قالوا أن عقبة بن نافع بنى مسجدا له، وقد زاد في هذا المسجد حسان ابن النعمان، قال ابن عبد الحكم: " ثم أنصرف حسان فنزل موضع قيروان أفريقية اليوم وبنى مسجد جامعتها000"[143]، ثم زاد فيه بشر ابن صفوان في عام

105هـ / 723م وتمثل عمارته آخر الزيادات في العصر الأموي[144]، وقد ازدهرت المدينة حتى أصبحت عاصمة المغرب كله، ووصفها ابن حوقل بقوله : " أنها أعظم مدن المغرب وسجل اعجابه بعمارة مبانيها وحسن أسواقها ورواج تجارتها ويسار أهلها " 0 [145]

والقيروان إحدى المدن الإسلامية التى مثلت مركزا حضاريا هاما فى الدولة الإسلامية، حيث أسهمت بنصيب موفور فى نشر الإسلام فى أفريقيا، ومنها انتقل إلى أوربا، وكانت القيروان خلال العصر الأموى قاعدة حضارية واستراتيجية هامة[146] حتى أن الأمويين خشوا نفوذ أهلها وكذلك خشوا نفوذ عقبة بن نافع بها مما جعل مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر من قبل معاوية – وكان قد استعمله أيضا على أفريقيا – يقوم بعزل عقبة، واستعمل على أفريقيا مولى له يقال له "أبو المهاجر" الذى قدم أفريقية وأساء عزل عقبة، واستخف به، وسار عقبة إلى الشام وعاتب معاوية على ما فعله أبو المهاجر دينار، فاعتذر له معاوية ووعده باعادته إلى عمله إلا أن معاوية توفى، وولى بعده ابنه يزيد، فاستعمل عقبة بن نافع على أفريقيا سنة 62هـ/681م [147] 0

ولما أعيد عقبة إلى ولايته فى أفريقيا بعد أن أكرمه يزيد قيل أيضا أن مسلمة بن مخلد اعتذر عما صدر من أبى المهاجر دينار، وانتقم من أبى المهاجر وقبض عليه، وأوثقه فى الحديد وصادر أمواله 0 [148]

هذا وقد عانت القيروان الإهمال أثناء ولاية أبو المهاجر دينار فقد تم إخلاءها من العسكر، وانتقلت الإدارة والحكومة إلى المدينة الجديدة التى اختطها أبو المهاجر على بعد ميلين من القيروان، وأمر الناس بالتحول عن القيروان، بل أمعن فى الإساءة إلى مدينة القيروان وأمر الناس بإحراقها 0 [149]

ثم عاد للقيروان مكانتها بعودة عقبة فقام بتجديد مبانيها وترميم ما احتاج إلى ترميم، وأمر الناس بالعودة إلى الحياة فيها فرجعت تمارس أنشطتها الفكرية والاجتماعية، وتجدد الرباط وأحيا الجهاد 0 [150]

ويذكر اليعقوبى أن مدينة القيروان كان عليها سور من لبن وطين، فهدمه زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، ويذكر أن شربهم من ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المؤاجل، فمنها شرب السقاه، ولهم واد يسمى وادى السراويل فى الناحية القبلية من المدينة، يأتى فيه ماء مالح لأنه فى سباخ الناس يستعملونه فيما يحتاجون إليه 0 [151]

ولما قتل عقبة على يد البربر ومعه أبى المهاجر دينار انسحبت الجيوش الإسلامية من القيروان إلى برقة إلا أن سلطان الإسلام استمر وعادت القيروان مرة أخرى إلى المسلمين على يد زهير بن قيس لتواصل القيام بدورها الحضارى والفكرى الذى ارتبط باسمها منذ نشأتها فى القرن الأول الهجرى 0 [152]

7- مدينة واسط 83-86هـ / 702-705م

يذكر أنها سميت بذلك لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منها خمسين فرسخا ويذكر أنه كان قبل عمارة واسط هناك موضع يسمى واسط قصب، فلما عمر الحجاج مدينته سماها واسط باسمها، وقد شرع الحجاج في عمارة واسط سنة 84هـ وكانت عمارتها في عامين ففرغ منها سنه 86هـ في العام الذي مات فيه عبد الملك بن مروان [153]، وتقع مدينة واسط اليوم إلى الجنوب الشرقي من بلدة الحي في محافظة واسط على بعد 15كم، وتدعى بين سكان المنطقة بالمنارة نسبة إلى بقايا إحدى المنارتين اللتين تحيطان بمدخل فخم من الناحية المعمارية والزخرفية، ومن المرجح كما يذكر د.عيسى سلمان أنه مدخل المدرسة الشرابية أو الأقبالية التي شيدها شرف الدين أقبال الشرابي ببغداد في عام 628هـ/1230م، وهي المدرسة التي أشرف على عمارتها شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله 0 (154)

وكان الحجاج بن يوسف قد رغب في بناء مدينة جديدة، تسهل عليه إدارة العراق بعد أن أحس أنه من الصعب عليه الاستمرار في حكم العراق، فأرسل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يستأذن في عمارتها، فأذن له الخليفة بذلك، قال الطبري في أحداث سنة 83هـ /702م وفي هذه السنة بنى الحجاج واسطا[155]

وقال ابن تغرى بردى فيما يتعلق بالاسم عند ذكره السنة الثالثة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهي سنة 78هـ " وفيها فرغ الحجاج بن يوسف، وانما سميت واسط لأنها بين الكوفة والبصرة، منها إلى الكوفة خمسون فرسخا وإلى البصرة كذلك"0 (156)

وقد ذكر د0عيسى سلمان [157] أن هجر وخراب هذه المدينة الهامة يرجع إلى عامل رئيسي يتمثل في تغيير مجرى نهر دجلة، وقد تم أختيار موقع واسط بعناية بالغة فهي عبارة عن بقعة مرتفعة عن مستوى سطح النهر، هواؤها عذب، وطعامها سائغ على دجلة، وهي تتوسط العراق أو المدن الهامة فيه مثل البصرة، والكوفة والمدائن لذلك عرفت بواسط [158]

هذا وقد اختلفت الآراء من قبل المؤرخين والجغرافيين حول تاريخ الابتداء في إنشاء مدينة واسط حيث ذكر أن الابتداء كان في عام 78هـ/697م، وذكر أن الابتداء كان في عام 83هـ/702م، وأن الفراغ كان في عام 86هـ/705م، ويرجح د0عيسى سلمان أن التاريخ الثاني هو الصحيح، وهو التاريخ الذي تقدم ذكره عند ذكر نص الطبري، ثم أن ابن الأثير ذكر في أحداث سنة83 هـ/702م ما نصه" وفي هذه السنة بني الحجاج واسطا"[159]

وعلى الرغم من أن تخطيط واسط يعد استمرارا لتخطيط البصرة والكوفة إلا أن تخطيط واسط يمثل مرحلة أكثر تطورا نتيجة تغير الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية

والثقافية والفنية للدولة العربية الإسلامية، لذا فإن هذا التطور يرتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة هذه الفترة من تاريخ المجتمع العربي الإسلامي0[160]

أمر الحجاج بن يوسف بتشديد دار الإمارة أو القصر والمسجد الجامع في قلب المدينة وترك حولها فاصلا يفصلها عن الأسواق والدور والخطط، وأمر أن يشغل القصر مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها 400ذراع، وأن يكون هذا القصر ملاصقا للمسجد الجامع الذي جاء أيضا من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها 200ذراع، كما أمر أن يكون القصر بمثابة مركز المدينة أي يتوسطها تماما بحيث تؤدي إليه أو تتقاطع عنده الشوارع الرئيسية الأربعة التي تفصل بين خطط الناس في المدينة، وجعل خطط الناس بين هذه الشوارع الرئيسية 0 [161]

وقد أفرد الحجاج الخطط لأصحاب المهن كل على حسب مهنته، وأفرد خطط أهل الشام وأهل البصرة والكوفة، وجعل الأسواق تفصل بين الخطط وقلب المدينة، أما فيما يتعلق باستخدامات المدينة الحربية، فقد ذكر أن الحجاج حصن المدينة بسوريين وخندق، وذكر أن أحاطها بسور وخندقين، وأمر أيضا أن تقام الأبواب الحديدية في مداخل المدينة، وأن تغلق ليلا لكي لا يسمح لغير أهلها المبيت فيها، ويضيف د0عيسى سلمان أن بناء المدينة كلف الحجاج خراج العراق لمدة خمس سنوات0[162]

ونلمس التطور الذي طرأ على تخطيط وعمارة مدينة واسط مقارنة بتخطيط وعمارة البصرة والكوفة في زيادة سعة دار الأمارة أو القصر على سعة المسجد الجامع، وجعلها تمثل مركز المدينة بعد أن كان المسجد الجامع يمثل هذا المركز في مدينتي البصرة والكوفة، وقد صارت دار الأمارة تعرف بقصر الحجاج، وعرفت بقبتها الخضراء التي كانت ترى من مسافات بعيدة0

ويرجح د0عيسى سلمان أن الحجاج بن يوسف قد تأثر بشكل مباشر في تحديد سعة القصر بما كان في دار الأمارة بالكوفة في العصر الأموي، حيث وسعت الدار وصار طول ضلع سورها الخارجي 176مترا، بينما كان طول ضلع المسجد 103مترا، ويعكس هذا التوسع ازدياد عدد أفراد الجهاز الإداري، وتنوع المهام حبث جعلت دار السك ضمن قصر الحجاج0[163]

كما يمكن أن نلمس التطور في خطط المدينة، حيث جاءت غير قبائلية، بل مهنية وإقليمية تختلف عن خطط البصرة والكوفة ،ويمتد هذا التطور إلى التخطيط أيضا فقد قسمت واسط إلى أربعة أرباع تفصلها شوارع مستقيمة تنتهي في مركز المدينة، أما في مدينتي البصرة والكوفة فقد كانت الشوارع الرئيسية بعدد خطط القبائل تقريبا، كذلك من مظاهر التطور أيضا تحصين المدينة بسوريين وخندق أو بخندقين وسور، وهي الاستحكامات الحربية التي خلت منها البصرة والكوفة لأنهما كانتا مراكز انطلاق بالدرجة الأولى، أما واسط فصارت مركزا إداريا، حيث

استقرت مبادئ الدين الجديد في البلاد، كذلك اختيار الموقع، حيث لم يراع فيه قضية المانع الطبيعي بين المدينة الجديدة، وحاضرة العالم العربي الإسلامي0[164]

المسجد الجامع بواسط:

يشغل مساحة مربعة أبعادها 104.5x103.5 م وشيد البناء بالطابوق والجص وسمك الجدار 205م تقريبا وكانت سقوفه ترتكز على أعمدة أسطوانية من حجر رملي وتتميز الأعمدة بزخارفها النباتية والهندسية المحفورة عليها وكان تخطيط المسجد في عهد الحجاج بن يوسف من صحن مستطيل وأربعة أروقة أكبرها وأعمقها رواق القبلة[165]، وكان الدخول إليه يتم من أحد عشر بابا جدد هذا الجامع سنة 400هـ/1010م بدون إحداث زيادة بغرض تصحيح قبلته حيث كانت منحرفة بمقدار 34درجة عن الخط القبلى الصحيح، ثم هدم المسجد مرة أخرى في عام 550هـ/1155م وأعيدت عمارته على نفس المساحة وبنفس التخطيط[166]

القصر :

اهتم الحجاج بن يوسف الثقفي اهتماما خاصا بدار الأمارة التي كانت تعرف بقصر الحجاج فجعلها تمثل قلب المدينة بحيث تؤدي إليها أو تتقاطع عندها الشوارع الرئيسية الأربعة التي تفصل بين خطط الناس في المدينة، وجاءت هذه الدار في مساحتها ضعف مساحة المسجد الجامع، وذكر أنه أسند تخطيط وعمارة القصر إلى أثنين من المهندسين هما القاسم بن أنبار وأبو شعيب ابن الحجاج وكان طول ضلع الدار حوالي 200م وأنها مربعة الشكل وكانت مشيدة بالطابوق والجص مثل المسجد الجامع [167]

أشتهر قصر الحجاج بقبته العالية الخضراء وكانت تشاهد من مسافات بعيدة وتشتمل الدار على حديقة واسعة وبركة ماء، وكان يتوصل إليها من خلال أربعة أبواب يؤدي كل منها إلى طريق عرضه ثمانون ذراعا وهي الطرق الرئيسية التي تخترق خطط المدينة، فيكون القصر قلب المدينة [168]

وأنفق الحجاج على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف ألف درهم0

8- قرطبة : **[169]**

تعتبر مدينة قرطبة من أقدم المدن فى شبة الجزيرة الأيبيرية، وكانت تعرف باسم كوربا (Carduba) وقد حظيت بقسط وافر من الشهرة فى العصور القديمة، فيذكر القرى أن بناءها كان قبل ميلاد المسيح بثمان وثلاثين سنة[170] ونالت قرطبة عناية فائقة من حكام المسلمين بالأندلس 0

اتخذ الفاتحون المسلمون للأندلس من قرطبة دارا للإمارة منذ سنة 97هـ/712م، واهتم بها ولاة الأندلس كما اهتم بها الخلفاء الأمويون فى الشام، فعلى سبيل المثال أمر الخليفة عمر

بن عبد العزيز ببناء جسر قرطبة الشهير على نهر الأعظم بالمدينة ذلك الجسر لم يعرف فى الدنيا مثله 0 [171]

وكانت ولاية عبد الرحمن الداخل للأندلس نقطة تحول فى تاريخ قرطبة، فقد أولاها عناية واهتماما كبيرا حتى أصبحت قرطبة مركزا من أهم مراكز الإشعاع الحضارى فى أوربا، وتمتعت فى ظل بنى أمية بمكانه مرموقة فى الحياة الفكرية 0 [172]

وقرطبة مدينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ورحاب فسيحة ولها بابان يشرعان فى سور المدينة إلى الطريق الآخذ على الوادى من الرصافة – مساكن أعالى ربضها – وابنيتها متشابكة مستديرة على البلد من شرقه وشماله وغربه، والأسواق والبيوع والخانات والحمامات ومساكن العامة بربضها بجانبها ومسجد جامعها جليل عظيم والحبس منه قريب، وقرطبة بائنة بذاتها عن مساكن أرباضها – أحياءها – وهى مستديرة حصينة وسورها من حجر، ولقرطبة سبعة أبواب حديد، وهى فخمة واسعة0[173]

وقد ذكر أن مساحتها التى تدار حولها السور تبلغ ألف وستمائة ذراع، واتصلت العمارة بها أيام بنى أمية ثمانية فراسخ طولا وفرسخين عرضا، وذلك من الأميال أربعة وعشرون فى الطول وستة أميال فى العرض، وهذه المساحة عبارة عن ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادى الكبير 0 [174]

ووصف العلماء قرطبة فقالوا : هى مدينة أزلية من بنيان الأوائل، طيبة الماء والهواء، أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب، وهى المحرث العظيم الذى ليس له فى بلاد الأندلس نظر ولا أعظم من بركة 0 [175]

ويذكر عن أرباض – أحياء – قرطبة أنها كانت عديدة وهى عبارة عن محلات سكنية متكاملة، بنيت لها أسوار خاصة بها، كانت تربطها بأسوار المدينة الأصل، فتحت لها الأبواب التى تيسر الاتصال بين المدينة وأرباضها المختلفة، واشتمل كل ربض على التكوينات المعمارية التى تستلزمها حياة سكنية 0 [176]

ومثال لهذه الأرباض هى : ربض شقنده – ربض حوانيت الريحان، ربض مسجد الكهف، ربض مسجد الروضة، ربض باب اليهود – ربض الرصافة، ربض البرج، ربض الزهراء، ربض المدينة العتيقة 0 [177]

ومن قصورها المشهورة : الكامل والمجدد والحائر والروضة والزاهر والمعشوق والمبارك، والرستيق وقصر المسرور والتاج والبديع 0 [178]

أما قصر الخلافة فقد وصف بأنه "أول تداوله ملوك الأمم من عهد موسى النبى عليه السلام، وفيه من المبانى الأولية والآثار العجيبة لليونانيين ثم للروم والقوط والأمم السالفة ما يعجز عنه الوصف، ثم ابتدع الخلفاء من بنى مروان فى قصرها البدائع الحسان، وأثروا فيها

الآثار العجيبة والرياض الأنيقة، وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المساحات البعيدة، تمونوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها إلى القصر الكريم وأجروها فى كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه فى قنوات الرصاص تؤديها إلى المصانع – الخزانات – صور مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضة الخالصة والنحاس المموه إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج العذبة فى أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة 0 [179]

عاشت قرطبة منارة للعلم والفكر الإسلامى أسهم العديد من علماؤها فى كثير من مجالات العلم والفكر، ومن خلالهم انتقلت العلوم إلى أوربا، وظلت تقوم بهذا الدور الحضارى العظيم إلى أن إنهارت الخلافة وقامت على أنقاضها ممالك الطوائف، وكانت نكسة عنيفة لوحدة الأندلس، واندثرت قرطبة باسترداد المسيحيين لبلاد الأندلس، وحين دخلوا حاضرة الخلافة الإسلامية وحولوا مسجدها الجامع الكبير إلى كنيسة ما يزال تحمل اسمه فتعرف بكنيسة الجامع 0 [180]

9- العسكر (133هـ/750م):

بعد هزيمة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وقتله فى بوصير أصبحت الخلافة خالصة لبنى العباس، عندئذ أمر صالح بن على الذى قاد الجيش العباسى فى هذا الصدام بالبناء، فبنوا العسكر فى المكان المعروف بالحمراء القصوى، الواقعة شمال شرقى الفسطاط والتى كان يسكنها الروم الذين قدموا مع عمرو بن العاص 0

وكانت خطة بنى الأزرق وبنى روبيل وبنى يشكر وبنى جزيلة، ثم اندثرت هذه الخطط حتى صارت صحراء جرداء [181]، وكان حد هذه المدينة من الجنوب عند كوم الجارح ومن الشمال قناطر السباع أمام المشهد الزينبى، ومن الغرب قناطر السد 0 [182]

وقد أنشئت العسكر اما لرغبة العباسيين فى أن يتخذوا لأنفسهم مقرا لم يسبق إليه غيرهم، واما لأن مروان بن محمد كان قد أحرق جانبا كبيرا من الفسطاط[183]،وأسست هذه المدينة أصلا لإيواء العسكر العباسى فسميت بالعسكر [184]

شيد الصالح بن على بالعسكر دار للإمارة، ظل ينزلها الولاة العباسيون وكان بعضهم يسكن الفسطاط إلى جانب العسكر 0 [185]

وبعد تأسيس العسكر بقليل ورد كتاب أبى جعفر المنصور على يزيد بن حاتم والى مصر سنة 146هـ / 763م يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط[186] كذلك شيد بها الفضل بن صالح بن على مسجدا جامعا سنة 169هـ / 785م، وتم تجديد المسجد الجامع بالعسكر فى عهد والى مصر عبد الله بن طاهر ولم يكتب له البقاء طويلا حيث إندثر وعرف بجامع العسكر 0 [187]

والعسكر ثانى عواصم مصر الإسلامية، وأصبحت مقرا لشرطة خاصة غير شرطة الفسطاط، عرفت بالشرطة العليا باعتبارها تقع شمالا، فى حين كان يطلق على شرطة الفسطاط اسم الشرطة السفلى لأنها كانت تقع جنوبا بل أن صاحب الشرطة السفلى فى الفسطاط كان أعظم شأنا وأكثر اختصاصا من نظيرة فى العسكر باعتباره حاكم القسم الرئيسى الأصيل فى الحاضرة 0 [188]

ولما قدم أحمد بن طولون إلى مصر سكن العسكر مدة ثم تحول عنها إلى مدينة القطائع، وخلال عهده بنى بها مارستانه بالقرب من بركة قارون 0 [189]

وأنفق على بنائه ستين ألف دينار، وأخذ الجزء الأكبر منه من الكنز الذى عثر عليه فى تنور فرعون، وأوقف عليه عدة أماكن لضمان استمراره، وشرط ألا يعالج فيه جندى مملوك، كما شرط أنه إذا جئ بالعليل تنزع ثيابه، ويودع ما معه من المال عند أمين البيمارستان وتقدم له ثياب خاصة من البيمارستان، ويخصص له الدواء مجانا حتى يتم شفاءه 0 [190]

وكان أحمد بن طولون حريصا على تفقد البيمارستان وزيارته يوم الجمعة من كل أسبوع، حيث يطوف على خزائن الأدوية ويتفقد أعمال الأطباء ويشرف على سائر المرضى من المجانين حتى غافلة فى يوم أحدهم ورماه برمانه عريشية كبيرة كادت تقضى عليه، فلم يعاود النظر فى البيمارستان بعد ذلك 0 [191]

وفى عهد خمارويه تحولت المدينة إلى ديوان للخراج، ولما زالت دولة بنى طولون وخربت القطائع عاد ولاة مصر ينزلون بدار الإمارة بالعسكر إلى أن قدم القائد جوهر الصقلى من المغرب وبنى القاهرة المعزية سنة 358هـ / 969م، فتحول مركز الحكم إليها 0 [192]

وكان من أهم الدور التى بنيت بالعسكر بجانب دار الإمارة:

دار كافور الأخشيدى : يذكر المقريزى أنه بناها بالعسكر على بركة قارون، وقد أنفق عليها مائة ألف دينار، وسكنها سنة 346هـ / 957م ثم انتقل منها بعد أيام لوباء وقع فى غلمانه من بخار البركة 0 [193]

قبة الهواء : وهى دار شيدها حاتم بن هرثمة والى مصر (194-195هـ/809-810م) من قبل الخليفة العباسى الأمين – على جبل المقطم، وقد استمرت قائمة حتى عصر الطولونيين، وقد شيدها من الحجارة وغيرها من مواد البناء 0 [194]

10- بغداد145 هـ /762م:

بغداد[195] هى دار السلام، وأزهى مدن الزمان بناها الخليفة أبو جعفر المنصور لتكون مقر حكمه وعاصمة ملكة، ومعقل جنده ومأمن أهله وخاصته، وذلك لأن العباسيين حالفوا خراسان فى أول الأمر، لكنهم لم يجعلوا مقرهم فيه، فابتعدوا عن القطر الذى قوى شأنهم وعضد

أمرهم، ثم أنهم لم يستقروا فى الكوفة، لأنهم لا يأمنون أهل الكوفة حيث كانوا قد أفسدوا الجند العباسيين 0 [196]

وكان السفاح قد بنى مدينة قرب الأتبار وسماها الهاشمية، فلما كان زمن أبى جعفر المنصور ووقعت واقعة الراوندية فيها كره المنصور سكناها لذلك وأيضا لمجاورة أهل الكوفة [197] 0

لم ترق الهاشمية لهم أيضا فأخذ أبو جعفر المنصور يبحث عن مكان يبنى فيه مدينة جديدة تكون مقر حكمه وعاصمة ملكه، وسار حتى أتى الموصل، ثم أرسل جماعة من الحكماء، وذوى اللب والعقل، وأمرهم بارتياد موضع، فاختاروا له موضع يصلح أن يكون عاصمة للدولة العباسية فذهب إلى هناك واعتبر المكان ليلا ونهار ما ستطابه وبنى به مدينته 0 [198]

وتروى المصادر أهمية المكان الذى وقع عليه الاختيار لبناء بغداد، حيث نبهه بعض العقلاء النصارى على فضيلة مكانها فقال : "يا أمير المؤمنين تكون المدينة على الصراه بين دجلة مع الفرات فإن حاربك أحد كانت دجلة والفرات خنادق لمدينتك، ثم أن الميرة تأتيك فى دجلة من ديار بكر تارة، ومن البحر والهند والصين والبصرة تارة أخرى، وفى الفرات من الرقة والشام وتجيك الميرة أيضا من خراسان وبلاد العجم فى شط تامرا، وأنت يا أمير المؤمنين بين أنهار لا يصل عدوك إليك إلا على جسرا أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر أو خربت القنطرة لم يصل إليك عدوك، وأنت متوسط للبصرة والكوفة وواسط والموصل والسود، وأنت قريب من البر والبحر والجبل 0 [199]

هذا من حيث موقع المدينة أما من حيث مخططها ففيه يتجلى ذكاء كبير، حيث جاء تخطيط بغداد مما استحدث فى تخطيط المدن الإسلامية، فقد جعلها أبو جعفر المنصور مدوره، وأقام بمركزها قصر الخلافة، وإلى جانبه الجامع الذى سمى بجامع المنصور 0 [200]

وضع المنصور بيده أول لبنه وقال : "بسم الله والحمد لله 0 الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين" ثم قال ابنوا واستغرق بناء المدينة عاما كاملا، فابتدأ بها فى سنة خمس وأربعين ومائة، وتمها فى سنة ست وأربعين ومائة، وجعل لها أربعة أبواب هى باب خراسان، وباب الشام، وباب الكوفة، وباب البصرة [201]

جعل المنصور بين كل باب من أبوابها والباب الآخر ميل، وبجانب كل باب أبنية كبيرة لإقامة الفرق العسكرية، والأبواب الأربعة تقضى جميعا إلى الساحة الواقعة فى المركز [202] عند قصر الخلافة، حيث كان الخليفة يستطيع أن يراقب هذه الشوارع جميعا من قصره وأن يعرف ما يجرى فيها، وقد بنى المنصور فيها الخضراء فوق ايوان، وكان ارتفاعها ثمانين ذراعا، وهى تاج بغداد ومأثره من مآثر بنى العباس، ويذكر ابن طبطبا أن تكاليف بناء المدينة بلغت أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثين درهما 0 [203]

اهتم المنصور عند تخطيط بغداد بالمرافق الهامة وخاصة الأسواق حيث عمل على توفيرها فى كل ربض من أرباض المدينة، وذكر اليعقوبى أنه حدد لكل أصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الأذرع ولمن معه من أصحابه وما قدره الحوانيت والأسواق فى كل ربض، وأمرهم أن يوسعوا فى الحوانيت، ليكون فى كل ربض سوق جامعة، تجمع التجارات 0 [204]

وحدد لهم المنصور أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعا بالسوداء، والدروب ست عشره ذراعا، وأن يبتنوا فى جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفى بها من فى كل ناحية ومحله 0 [205]

وعمرت المدينة وازدحمت بالناس ومن ثم اقطع الخليفة قواده وعماله القطائع خارج أسوار بغداد، حيث رأى المنصور أن ينقل التجار خارجها محافظة على أمنها ونظافتها وتوفير الهدوء فيها، وأنشأ " الكرخ" ليضم التجار جميعا، وكان تخطيطه مثالا جيدا يعكس المستوى الذى وصل إليه تخطيط الأسواق حيث حدد لكل أهل تجارة مكانها، وفصل بين أهل التجارات والحرف فخصص لكل حرفة أيضا منطقة خاصة بها[206] ونتيجة لازدحام بغداد أمر المنصور ببناء الرصافة وجعلها ثكنات للجيش 0 [207]

وكانت بغداد جنة الدنيا، ومدينة السلام، وقبة السلام، ودار الخلافة، ومجمع الرافدين، وعزة البلاد/ومعدن الظرائف واللطائف والمحاسن والطيبات، ولها أرباب الغايات فى كل فمن، وآحاد الدهر فى كل نوع 0 [208]

ويذكر اليعقوبى أنها ليست كالشام الوبيئة الهواء الضيقة المنازل، الحزنة الأرض، المتصلة الطواعين الجافة الأهل، ولا كمصر المتغيرة الهواء، الكثيرة الوباء التى أنما هى بين بحر رطب عفن، وبين جبل اليابس، ولا كأفريقيا البعيدة عن جزيرة الإسلام، وعن بيت الله الحرام، الجافية الأهل الكثيرة العدد، ولا كأرمينية النائية، الباردة، الصردة الحزنة، ولا مثل كور الجبل الحزنة، الخشنة المثلجة، ولا كأرض خراسان الطاعنة فى مشرق الشمس، ولا كالحجاز النكدة المعاش، الضيقة المكسب، التى قوت أهلها من غيرها 0 ولهذا كانت بغداد أفضل البلدان، ولذا نزلها الناس وسكنوها 0 [209]

هذا وقد اهتم خلفاء بنى العباس ببغداد اهتمام بالغا، وازدهرت العاصمة العباسية وكانت من أعظم حوادر العالم، كما كانت منارة للعلم والمعرفة، ومركزا للفكر والثقافة امتدت إشعاعاته الحضارية لتضئ الدنيا، ولا سيما النهضة العلمية والفكرية التى شهدتها المدينة خلال عصر المأمون، فقد استطاع علماء بغداد وأساتذتها نقل الكثير من العلوم الإنسانية القديمة0 [210]

11- القطائع256هـ /869م :

أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع سنة 256هـ / 869م فى المنطقة الواقعة بين جبل يشكر حد الفسطاط الشمالى، وبين سطح المقطم، وكان هذا الموقع يعرف بقبة الهواء[211]، وذلك

بعد أن استمر بدار الإمارة التى بالعسكر فترة حتى كثرت عساكره وعبيده، وضاقت بهم المدينة، فحرت قبور اليهود والنصارى التى فى سطح جبل يشكر، وبنى مدينة شرقى مدينة الفسطاط[212]، وسماها "القطائع" لتكون مركزا لحكمة وقصرا لجنده وحاشية الذين اقتسموها، وسميت كل قطعية باسم من سكنها، سواء من تجمعهم رابطة الجنسية، أو رابطة العمل فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم، وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم، وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم، ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم 0[213]

كما جعل ابن طولون قطائع خاصة للحرف والتجارات، مثل سوق الطباخين وسوق الصيادين، وسوق الصيارفة والخبازين، ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوقا حسنا وأمر غلمانه أن يختطوا به 0 [214]

وكان تأسيس ابن طولون لهذه المدينة مرتبطا بضرورة ابعاد جيش غير المتجانس عن الأحياء العربية المصرية، وتجنب ما يمكن حدوثه من الشغب بسبب اختلاط جنده بالتجار وغيرهم من عامة الشعب، على نحو ما حدث لجند الخليفة المعتصم بالله فى بغداد، وكان سببا فى إنشاء مدينة سامراء 0 [215]

وكانت مساحة القطائع ميلا مربعا وشيد بها ابن طولون مسجده المعروف على جبل يشكر ويذكر أن الإنتهاء من المسجد كان فى سنة 265هـ /879م كما يتضح من بقايا اللوحة التأسيسة التى بداخلة وهى لوحة مثبتة على إحدى دعامات المسجد ومنقوشة بالخط الكوفى جاء فيها " أمر الأمير أبو العباس أحمد ابن طولون ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء عليه وطيبة لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين (مايو 879م) 0 [216]

ويعد جامع ابن طولون من أكبر جوامع مصر الإسلامية مساحة إذ يغطى مع الزيادات التى تحيط به من الشمال والجنوب والغرب ما يقرب من ستة أفدنة ونصف تأخذ شكلا مربعا حوالى 138 × 118م على حين ترتفع الجدران من منسوب أرضية الأروقة الداخلية إلى قمة شرفاته العليا إلى ما يقرب من ثلاثة عشر مترا 0 [217]

زود المسجد بإثنين وأربعين بابا، وزعت توزيعا متناسبا على طول اكتداد وجهات المسجد وعلى جدران الزيادات التى تحف به من ثلاث جهات، ولعل السبب فى كثرة هذه الأبواب يرجع إلى الرغبة فى تسهيل عملية الدخول والخروج من المسجد نظرا لاتساع رقعته[218]، أو لكثرة المساكن والأسواق التى كانت مشيدة حول ساحته الخارجية 0 [219]

وتتميز منارته التى شيدت من الحجر خارج المسجد بأنها الوحيدة فى مصر ذات السلم الخارجى وهى تتألف من قاعدة مربعة التخطيط تعلوها منطقة اسطوانية وفوقها مثمن علوى يحمل مثمن آخر أصغر منه ويتوجه قبة صغيرة مضلعة تعرف فى المصطلح المعمارى المحلى

باسم المبخرة يبلغ ارتفاع قامتها عن أرضية عن أربعين مترا[220]، ويصعد إليها عن طريق سلم خارجى يرتقى فى عكس اتجاه عقارب الساعة كما يربطها بسطح المسجد الجامع قنطرة حجرية ترتكز على عقدين على شكل حدوة الفرس 0 [221]

كانت القطائع أول مدينة بمعنى الكلمة أنشئت بوادى النيل فى العصر الإسلامى ولم يقض إنشاء القطائع على العسكر أو الفسطاط فلم تكن كل من القطائع والعسكر إلا ضاحيتين للفسطاط أو امتداد لها 0 [222]

وقد عمرت القطائع عمارة حسنة كما يقول البلوى وتفرقت فيها السكك والأزقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران وسميت أسواقها كما ذكرنا، فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن 0 [223]

وكانت أهم الدور التى بنيت فى القطائع فى الدولة الطولونية الآتى :

– قصر أحمد بن طولون : بنى أحمد بن طولون قصره ووسعه وحسنه وألحق به ميدانا فسيحا يضرب فيه بالصوالجة[224] فسمى القصر كله بالميدان، وكان كل من أراد الخروج من صغير أو كبير ‘ذا سئل عن ذهابه يقول إلى الميدان، وقد عمل ابن طولون للميدان تسعة أبواب لكل باب اسم خاص به مثل :

- باب الميدان : ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش 0
- باب الصوالجة0
- باب الخاصة : لا يدخل منه إلا خاصته 0
- باب الجبل : كان يلى جبل المقطم 0
- باب الحرم : لا يدخل منه إلا خادم خاص أو حرمه 0
- باب الدرمون : نسبة إلى أحد الحجاب 0
- باب دعناج : نسبة إلى حاجب كان يسمى دعناج 0
- باب الساج : عرف بذلك لأنه كان مصنوعا من خشب الساج 0
- باب الصلاة : فى الشارع الأعظم ويعرف أيضا بباب السباع لأنه صور عليه سبعان من جبس، كما كان يعلوه مجلس يشرف منه ابن طولون فى ليلة العيد على القطائع ليرى أفراد جيشه وتأهبهم وتصرفهم فى حوائجهم، وكان يشرف منه على النيل أيضا 0 [225]

ولم تكن هذه الأبواب تفتح كلها إلا فى أيام الأعياد أو يوم عرض الجيش أو يوم الصدقة[226] أما باقى الأيام فإن هذه الأبواب كانت تفتح فى وقت محدد وتغلق فى وقت محدد أيضا، وقد زاد خمارويه فى هذا القصر الذى بناه أبوه ووسع فيه إلى أبعد الحدود، وأضاف إليه قصرا جديدا خصصه لزوجات أبيه وأفرد لكل واحدة منهن جناحا خاصا 0 [227]

الدكة : بناها خمارويه وهى عبارة عن قبة تضاهى قبة الهواء، وجعل لها الستور التى تقى الحر والبرد، فتسدل إذا شاء وترفع إذا أحب، وفرش أرضها بالفرش وعمل لكل فصل فرشا يليق به، وكان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى قصره من البساتين والصحراء والنيل والجبل والمدينة 0 [228]

بيت الذهب : بنى فى زمن خمارويه وكان عبارة عن مجلسا داخل داره سمى بيت الذهب لأن جدرانه طليت بالذهب واللازورد، وجعل فيه قامة ونصف نقوشا بارزة من الخشب تمثل حظاياه والمغنيات نقشت ثيابهن بأصناف الجوهر، وفى أذانهن الأجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة فكان هذا البيت من أعجب مبانى الدنيا 0 [229]

بركة الزئبق : أقام خمارويه أمام القصر بركة طولها خمسون ذراعا فى خمسين ذراعا، ملأت بالزئبق للاسترخاء، ليخلص مما أصابه من الأرق وجعل عليها سرير من آدم يحشى بالهواء لينام عليه شد بخيوط من حرير إلى عمد من فضة، كان يرى لها فى الليالى المقمرة منظرا عجيب إذا تآلف نور القمر بنور الزئبق 0 [230]

وقد خربت القطائع على يد محمد بن سليمان الكاتب خلال عهد الخليفة المكتفى بالله (289-295هـ) حنقا على بنى طولون وذلك سنة 292هـ/904م وأبقى الجامع 0 [231]

12- القاهرة 359هـ /970م :

ظلت مدينة الفسطاط عاصمة لمصر، وكانت مدينة الإقليم منذ الفتح الإسلامى لمصر، وكانت منزل الأمراء وكثر الناس بها وزادت عمارتها، ثم لما انقضت الدولة الإخشيدية فى مصر سنة (323-358هـ/935-969م) واختلت أحوال مصر بسبب الوباء والفناء، وسار الجيش الفاطمى بقيادة جوهر الصقلى إلى مصر واستولى على الفسطاط من بقايا الإخشيديين، واختط مدينة القاهرة 0 [232]

وعدد المقريزى موضع القاهرة فيذكر : أنها كانت رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس عند مسيرتهم من الفسطاط إلى عين شمس وهو موقع إلى الشمال من الفسطاط ويحدها من الشرق جبل المقطم ومن الغرب خليج أمير المؤمنين 0 [233]

قرر جوهر تأسيس القاهرة لتكون مدينة ملكية حصينة للخليفة وأتباعة، كما اختط القصر الفاطمى الذى أعده ليستقبل فيه مولاه المعز لدين الله، وكان قصر الخليفة وسطها محصنا بأبواب محددة[234] وبنى جوهر سورا خارجيا من اللبن على هيئة مربع طول كل ضلع من أضلاعه 1200 متر 0 [235]

وأراد جوهر أن يحصن المدينة وأن يعوق فى الوقت نفسه عامة الشعب فى كل من الفسطاط والعسكر والقطائع الوصول إلى القاهرة، وقد كان محظورا على أى فرد اجتياز أسوار القاهرة إلا إذا كان من جند الحامية الفاطمية أو من كبار موظفى الدولة، وكان الدخول إليها لا

يتم إلا بعد الحصول على تصريح خاص[236] وعن طريق الأبواب الثمانية جنبا إلى جنب[237]، وأبواب القاهرة هى اثنان من السور الشمالى هما باب الفتوح وفى شرقه باب النصر 0
باب زويلة فى السور الجنوبى، وفى الغرب منه باب الفرج 0
بابا الضلع الشرقى هما باب البرقية، وباب القراطين 0 [238]
وفى الضلع الغربى كان يوجد بابان هما باب القنطرة وباب السعادة 0 [239]

وكان لموقع القاهرة مميزات عديدة يأتى فى مقدمتها أن نهر النيل يحيط بضاحيتها الفسطاط من الغرب، وأتاح ذلك لسكانها فرصة إقامة العديد من القصور على شاطئ النيل[240]، كما كانت محصنة بحصون طبيعية كجبل المقطم فى الجنوب الشرقى، ونهر النيل فى الغرب، وحصون غير طبيعية تتمثل فى الأسوار التى أقيمت حول المدينة 0 [241]

وبصفة عامة فقد دل موقع القاهرة على نظرة صائبة رغم اعتراض المعز لدين الله على اختيار موضعها[242]، فكان بعدها النسبى عن النهر يحميها من خطر الفيضان، ويؤكد ذلك ابن سعيد بقوله : "إن بعد القاهرة عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها " 0 [243]

وقد اختط الطريق العام يخترق وسط المدينة من باب زويلة جنوبا ويتصل بمدينة الفسطاط مارا فيما بين القصرين[244] حتى باب الفتوح، وكان يوصل إلى الفضاء الواقع فى الشمال، وكان الجامع الأزهر الشريف إلى الجنوب الشرقى من قصر الخليفة وقد شرع جوهر فى بنائه سنة 359هـ /970م ليكون المسجد الرسمى للقاهرة وذلك بعد أن وضع أساس المدينة التى حوت الحوانيت والأسواق وبلغ عددها ما لا يقل عن عشرين ألف دكان وكان بها ربط وحمامات وأبنية أخرى 0 [245]

وقد عرفت هذه المدينة فى أول الأمر باسم المنصورية تيمنا باسم المنصورية التى أنشأها المنصور بالله ثالث الخلفاء الفاطميين خارج مدينة القيروان بشمال أفريقيا[246]، ولم تعرف بالقاهرة إلا بعد أربع سنوات بعد أن حضر الخليفة المعز إلى مصر ورأى من قراءاته الخاصة للطالع أن هذه التسمية فأل حسن إذ رأى أن اسم القاهرة مشتق من القهر والظفر[247]، ويذكر أن سور القاهرة الذى بناه جوهر لم يعمر أكثر من ثمانين سنة، إذ كان قد تهدم فى عصر المستنصر بالله[248]، فستبدل به بدر الجمالى وزير المستنصر سورا آخر، وذلك بعد أن وسع رقعة القاهرة بمقدار 150 متر إلى شمال السور القديم[249]، وحوالى ثلاثين مترا إلى الشرق ومثلها إلى الجنوب[250]، وقد تم تشييد هذا السور فيما بين سنتى 480-485هـ[251]، وبنى هذا السور من الحجر، وبقى منه ثلاثة أبواب هامة هى : باب النصر، وباب الفتوح، وباب زويلة، وأقدمها باب النصر ويعرف بباب المعز 0 [252]

وبعد انتهاء الدولة الفاطمية واستيلاء صلاح الدين على مقاليد الحكم فى مصر سنة 567هـ / 1171م تغيرت صفة القاهرة، فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهورية 0 [253]

ومن أهم مبانى القاهرة :

القصر الكبير :

يسمى بالقصر الشرقى لأنه يقع بالقرب من سور القاهرة الشرقى وهو القصر الذى أعده جوهر لنزول الخليفة المعز، فكان يشمل تسعة أبواب [254] وكان يشغل مساحة تقرب من 70 فدانا من جملة مساحة القاهرة التى كانت تبلغ 340 فدانا وكان يتألف من خطط وأحياء تخترقها الطرقات والمسالك التى تفضى إلى أجزائه المختلفة فوق الأرض أو داخل السراديب المارة تحت الأرض، وكانت تضيئه الرحبات الكبيرة غير المسقوفة، أو الأفنية الداخلية الصغيرة 0 [255]

القصر الصغير :

كان بالقاهرة عدا القصر الكبير قصر آخر إلى الغرب منه عرف بالقصر الغربى الصغير، شيده الخليفة العزيز بالله ويشغل مكانه اليوم مستشفى قلاوون للرمد، وكل المساكن التى تجاوره إلى شارع الخليج، لذا عرف أيضا بقصر البحر، وكان يشرف على البستان الكافورى ويتحول إليه الخليفة من البركة التى كان يقال لها بطن البقرة أو من البستان المعروف بالفداوية، وغيره من البساتين التى تتصل بأرض اللوق وجنان الزهرى[256]، ووصف المسبحى هذا القصر بأنه "لم يبن مثله فى شرق ولا فى غرب" 0

وكان يتصل بالقصر الكبير الشرقى بواسطة سرداب تحت الأرض كان ينزل منه الخليفة ممتطيا ظهر بغلته، تحيط به فتيات القصر، وكان بين القصر الشرقى الكبير والقصر الغربى الصغير ميدان فسيح كانت تقام فيه حفلات عرض الجيش، حيث يقف فيه عشرة آلاف من العساكر بين فارس وراجل، اشتهر فيما بعد باسم بين القصرين، كما كان هناك ميدان آخر بجوار القصر الغربى يجاور البستان الكافورى المطل على الخليج 0 [257]

الجامع الأزهر :

أقام جوهر الصقلى الأزهر إلى الجنوب الشرقى داخل القاهرة وعلى مقربة من القصر الشرقى الكبير فيما بين حى الديلم فى الشمال وحى الترك فى الجنوب، ليكون المسجد الرسمى لمدينة القاهرة، وقد بدأ فى بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة 359هـ / 14 ابريل 970م، وانتهى العمل منه وأقيمت أول جمعة فيه فى السابع من رمضان سنة 361هـ / 22 يونيو 972م، وسمى بالأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء، بنت الرسول كما سمى بذلك أيضا نسبة إلى اللون الأبيض المزهر الذى تليت به جدرانه، وكتب على دائر القبلة على يمين المحراب ما نصه : "بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلثمائة" 0 [258]

وكان هذا المسجد وقت إنشائه يشغل مساحة مستطيل تبلغ مقاييسها الخارجية 85 متر طولا و 70 متر عرضا ويتألف من صحن أوسط مكشوف ومستطيل الشكل طوله 59 متر وعرضه 43 متر، وكان الجامع مزود وقت بنائه بثلاث مداخل فى جدرانه الشمالية والجنوبية والغربية 0 [259]

حظى الجامع الأزهر بعناية الفواطم وغيرهم حيث عنى بإصلاحه الخليفة العزيز بالله، وعنى بأمر الحاكم بأمر الله الذى جدد مأذنه سنة 400هـ /1001م، كذلك جدد الخليفة

المستنصر بالله المسجد أثناء خلافتة (427–487هـ)، وجدد الخليفة الآمر بأحكام الله محراب الجامع سنة 519هـ / 1125م 0 [260]

وجدد الخليفة الحافظ لدين الله الجامع الأزهر 524–544هـ حيث أضاف إليه بعض الإضافات فى الأروقة والصحن 0 [261]

وبسقوط الدولة الفاطمية سنة 567هـ / 1171م أفل نجم الجامع الأزهر حيث بطلت فيه صلاة الجمعة بأمر صلاح الدين الأيوبى واستمر على ذلك حتى عهد الظاهر بيبرس الذى أذن للأمير أيدمر سنة 665هـ / 1266م بإعمار الجامع الأزهر فأعاد ترميمه وأقيمت صلاة الجمعة فى نفس السنة بعد أن عطلت لمدة قرن من الزمان 0 [262]

وفى عهد الناصر محمد ابن قلاوون جدد الجامع الأزهر على أثر الزلزال الذى أصابه سنة 702هـ / 1302م، وفى سنة 425هـ / 1340م أضاف إليه الأمير علاء الدين أقبغا استادار السلطان الناصر محمد بن قلاوون مدرسة عرفت باسم المدرسة الأقبغاوية، وجدد عمارة الجامع أيضا سنة 761هـ / 1359م على يد الطواشى سعد الدين بشير الجمدار الناصرى حيث أنشأ على باب الجامع القبلى سبيلا وكتابا 0 [263]

وفى عهد السلطان برقوق جدد الجامع الأزهر سنة 792هـ / 1390م وفى سنة 873هـ / 1469م قام السلطان الأشرف قايتباى بهدم الباب الغربى للجامع وأقيمت فوقه المنارة 0 [264]

كذلك بعناية السلطان قانصوة الغورى، الذى قام فى سنة 915هـ/1510م ببناء منارة ضخمة ذات رأس مزدوج ما تزال باقية إلى يومنا هذا إلى جوار منارة السلطان قايتباى 0 [265]

مصادر ومراجع الفصل السادس

1. المدينة : مشتقة من الفعل (مدن) أي أقام، والمدينة الحصن يبنى في أصطحه معظم الشيئ، الأرض، الجمع مدائن، ومدن، ابن منظور : لسان، جـ17، ص288، ابن سيدة المخصص، جـ6، ص117
2. ابن حوقل : المسالك والممالك، ص 15، المقدسي : أحسن التقاسيم، ص194، ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ1، ص150
3. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص50،51
4. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ،ص 52
5. اليعقوبي : البلدان، ص 76
6. ابن هشام : السيرة، جـ3، ص128
7. ابن شبه : تاريخ المدينة، ص202، عبد القدوس الأنصارى : آبار المدينة ص241
8. السمهودى : وفاء الوفا ج3 ص953
9. ابن شبه : تاريخ المدينة، ص103
10. السمهودى : وفاء الوفا ج3 ص962
11. الأنصارى : تاريخ المدينة، ص113
12. السمهودى : وفاء الوفا ج3 ص986
13. ابن الأثير : الكامل، ج2 ص418
14. اليعقوبي : البلدان، ص76
15. ابن هشام : السيره، ج3 ص128
16. المقريزى : الذهب المسبوك ص30
17. أحمد الشريف : دور الحجاز فى الحياة السياسية، ص65-70
18. السمهودى : وفاء الوفا ج3 ص1006
19. سليمان عبد الغنى مالكى : بلاد الحجاز، ص155
20. اليعقوبي : البلدان، ص77
21. ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ4، ص 434، محمد عبد الستار : المدينة، ص52
22. الأحزاب: آيه 13
23. المسافة من المدينة إلى مكة قدرها ياقوت بنحو عشر مراحل، والمرحلة مسيرة يوم، وبالطريق المعبد حاليا حوالي 425ك .م، ياقوت : معجم البلدان، جـ7، ص432
24. ياقوت : معجم البلدان، جـ7، ص427

25. بدر عبد الرحمن : حكومة الرسول في المدينة، ص32
26. أحمد إبراهيم الشريف : الدولة الإسلامية الأولى، ص58
27. ابن هشام : السيرة، جـ1، ص13
28. جمال سرور : قيام الدولة العربية، ص50
29. بدر عبد الرحمن : حكومة الرسول في المدينة، ص32
30. ابن هشام : السيرة النبوية، جـ1، ص188
31. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص258
32. ابن شبة : تاريخ المدينة المنورة، ص202
33. سليمان عبد الغنى المالكى : بلاد الحجاز، ص175، 176
34. سليمان عبد الغني مالكي : بلاد الحجاز، ص175
35. السمهودى : وفاء الوفا، ج2 ص354
36. السخاوى التحفة اللطيفة ج1 ص88
37. إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج1 ص420
38. سليمان عبد الغنى المالكى : بلاد الحجاز، ص176
39. جعفر بن السيد إسماعيل المدني : نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين، مكتبة بن سلم، المدينة المنورة، مكتبة الرفاعي بالقاهرة، ص38
40. إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين
41. جعفر بن السيد المدني : نزهة الناظرين، ص38
42. ابن سيد الناس : عيون الأثر، جـ1، ص 195، 230
43. إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج1 ص370
44. سليمان مالكي : بلاد الحجاز، ص169
45. جعفر ابن السيد المدنى : نزهة الناظرين فى مسجد الأولين ص36
46. السخاوى : التحفة اللطيفة، ج1 ص35
47. السمهودي : وفاء الوفا، جـ2 ،ص 354
48. جعفر بن السيد المدني : نزهة الناظرين، ص36
49. السخاوي : التحفة اللطيفة، ص88
50.
51. محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية، ص54
52. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص 260، 261
53. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص 56، 57

54. محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية، ص 58
55. ابن سيد الناس : عيون الأثر، جـ2، ص 258
56. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص261
57. الكوفة : تقع قرب الحيرة، وسميت بالكوفة لأستدارتها، أخذ من قول العرب رأيت كوفانا، وكوفانا للرميلة المستديرة، وقيل سميت الكوفة لأجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل، وقيل الكوفة كل رملة تخالطها حصباء، أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ،جـ4، ص490، الفيروز أبادي : القاموس المحيط، لسان العرب لأبن منظور0
58. الطبري : تاريخه، جـ3، ص145
59. ابن يوسف : كتاب الخراج ،ص17
60. الطبري : تاريخه جـ3 ،ص147
61. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة، ص237
62. الطبري : تاريخه ،جـ3، ص148
63. اليعقوبي : البلدان، ص96،95
64. ياقوت : معجم البلدان، جـ7 ،ص297
65. محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية، ص68
66. الطبري : تاريخه ،جـ3، ص149، محمد الخضري : محاضرات في تاريخ الأمم، ص269
67. الطبري : تاريخه، جـ3، ص151
68. الطبري : تاريخه، جـ3، ص151
69. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة، ص238
70. ياقوت : معجم البلدان جـ7 ، ص299
71. ياقوت : معجم البلدان، جـ7، ص 297
72. محمد الخضري : محاضرات في تاريخ الأمم، ص 269، أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة، ص239
73. البصرة : تعني الأرض الغليظة، أو حجارة فيها بياض، ياقوت الحموي : معجم البلدان ،جـ2 ،ص192
74. الطبري : تاريخه، جـ3، ص148، أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة، ص237
75. الطبري : تاريخه، جـ3، ص90، ياقوت : معجم البلدان، جـ2، ص194
76. البلاذري : فتوح البلدان، ص354
77. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة، ص234

78. ياقوت : معجم البلدان، جـ2، ص194
79. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص65
80. البلاذري : فتوح البلدان، ص345
81. البلاذري : فتوح البلدان، ص345
82. ياقوت : معجم البلدان، جـ2، ص194
83. الأبلة : بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها، أسم لبلد على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، التي مصرت عل أيام عمر بن الخطاب، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسري، ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ1، ص77،76
84. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص66
85. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص66
86. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة، ص235
87. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص67
88. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص67
89. البلاذري : فتوح البلدان، ص358
90. ياقوت : معجم البلدان، جـ1، ص199
91. علي جمعة محمد : المكاييل والموازين، ص54
92. الهمداني : مختصر كتاب البلدان، ص51
93. المقدسي : أحسن التقاسيم، ص 114
94. ابن الفقيهة : مختصر كتاب البلدان، ص189
95. البلاذري : فتوح البلدان، جـ2، ص454
96. المقدسي : أحسن التقاسيم، ص128
97. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة، ص 236
98. الطبري : تاريخه، جـ3، ص446
99. اليعقوبي : البلدان، ص87
100. اليعقوبي : البلدان، ص87
101. محمد حسين : تاريخ مدينة دمشق ص54، 55
102. محمد بن أحمد كنعان : تاريخ الخلافة الراشدة، خلاصة تاريخ ابن كثير، ص123
103. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص236
104. أحمد شلبي :موسوعة الحضارة، جـ5، ص110

105. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص264
106. ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص91
107. ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص91
108. المقريزي : الخطط، جـ1، ص286
109. علي بهجت، والبير جرائيل : كتاب حفريات الفسطاط، ص39
110. ناصر خسرو : سفر نامة ص58
111. ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص91، ابن سعيد : المغرب، جـ1، ص39، السيوطي : حسن، جـ1، ص130
112. عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتها، ص 5
113. القلقشندي : صبح، جـ3، ص326
114. الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي، ص 249
115. سيدة كاشف : مصر في فجر ٱسلام، ص217
116. ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص104، فريد شافعي : العمارة العربية، جـ1، ص353
117. محمد عبد الستار : المدينة، ص69
118. المقريزي : الخطط، جـ1، ص286
119. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص 69
120. عبد الرحمن زكي : خطط الفسطاط، ص57-59
121. محمد عبد الستار : المدينة، ص69
122. ابن دقماق : الأنتصار، جـ4، ص 19، 36، اليعقوبي : البلدان، ص91
123. السيوطي : حسن، جـ1، ص58
124. ابن عبد الحكم : فتوح، ص110
125. محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام، ص108
126. ابن عبد الحكم : فتوح، ص136
127. ابن خلدون : المقدمة، ص342
128. الاصطخري : مسالك الممالك، ص6
129. المقدسي : أحسن التقاسيم، ص199
130. ناصر خسرو : سفر نامة، ص85
131. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر، ص67
132. الكندي : الولاة والقضاة، ص95
133. المقريزي : الخطط، جـ1، ص335

134. محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلامص112
135. المقريزي : الخطط، جـ1، ص335
136. المقريزي : الخطط، جـ1، ص335، 336
137. ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص27
138. قاسم عبده : عصر سلاطين المماليك، ص194
139. قاسم عبده : عصر سلاطين المماليك، ص194
140. ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص 196
141. ابن الأثير : الكامل، جـ3، ص 231
142. ابن عذاري : البيان والمغرب، جـ1، ص 19
143. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص278
144. ابن حوقل : صورة الأرض، ص 86
145. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص280
146. ابن الأثير : الكامل، جـ3، ص321
147. ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص197
148. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص281
149. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص 281
150. اليعقوبي : كتاب البلدان، ص 105،104
151. ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، ص199، فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص182
152. قرطبة : لفظ يوناني، بمعنى القلوب المشككة
153. د0 عيسى سلمان وآخرون : ج1، ص68 – انظر المدرسة الإقبالية : النعيمى (عبد القادر بن محمد) ت 927هـ/ 1520م : الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، الثقافة الدينية، القاهرة، 1988، ج1، ص158–160، د0 عبد الله كامل موسى عبده : العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وأفريقيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2002م، ص83 0
154. الطبرى : تاريخ الطبرى، مج3، ص149
155. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص68
156. د0 عيسى سلمان وآخرون : العمارات، ج1، ص68 –71
157. شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، 1982م، ص248

158. ابن الأثير : الكامل، ج3، ص514، د0 عيسى سليمان وآخرون : العمارات، ج1، ص72
159. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص73
160. د0 عيسى سلمان وآخرون : العمارات، ج1، ص73
161. د0 عيسى سلمان وآخرون : العمارات، ج1، ص73
162. د0 عيسى سلمان وآخرون : العمارات، ج1، ص73 –74
163. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص74
164. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص73
165. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص73
166. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص73
167. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص73
168. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص73
169. المقري : نفح الطيب، جـ1، ص26
170. المقري : نفح الطيب، جـ1، ص145
171. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص 283
172. ابن حوقل : صورة الأرض، ص 112، 113
173. المقري : نفح الطيب، جـ2، ص6
174. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص 15
175. محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية، ص 147
176. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص 185
177. المقري : نفح الطيب، جـ2، ص10
178. المقري : نفح الطيب، جـ2، ص12
179. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص288، عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة، ص268
180. المقريزي : الخطط، جـ1، ص 300
181. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر، ص57
182. زكي محمد حسن : الفن الإسلامي، جـ1، ص56
183. صفي علي محمد : مدن مصر الصناعية، ص100
184. المقريزي : الخطط، جـ1، ص304
185. الكندي : الولاة والقضاة، ص115
186. المقريزي : الخطط، جـ1، ص304

187. Sohernhiem : Encyclopedia of islam History of The Town of fustat, vol.,I.P.817
188. المقريزي : الخطط، جـ1، ص304
189. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر، ص113
190. القلقشندي : صبح، جـ3، ص337، المقريزي : الخطط، جـ2 ص504
191. المقريزي : الخطط، جـ1، ص305
192. المقريزي : الخطط، جـ1، ص305
193. هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية، جـ2، ص249
194. بغداد : لفظ فارسي معناه بستان رجل وهو مكون من (باغ بمعنى بستان، داد بمعنى رجل، ولها أسماء كثيرة منها بغداد بالذال، ودار السلام، وبغداد، ويقال الزوراء، ومدينة المنصور، ابن طباطبا : الفخري، ص163، ياقوت الحموي : معجم البلدان ،جـ2 ،ص23
195. ابن طباطبا: الفخري، ص161
196. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة، ص244
197. ابن طباطبا : الفخري ،ص161
198. ابن طباطبا : الفخري ،ص162
199. يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص40
200. المسعودي : مروج الذهب، جـ2، ص232
201. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة، ص245
202. أبن طباطبا : الفخري، ص163
203. اليعقوبي : البلدان، ص15
204. اليعقوبي : البلدان، ص15
205. اليعقوبي : البلدان، ص18، محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص256
206. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص265
207. المسعودي : مروج الذهب، جـ2، ص232
208. اليعقوبي : البلدان، ص109
209. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص265
210. البلوي : سيرة ابن طولون، ص53، المقريزي : الخطط، جـ1، ص315
211. المقريزي : الخطط، جـ1، ص313، ابن دقماق : الأنتصار، جـ4، ص141
212. هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية، جـ1، ص249
213. البلوي : سيرة ابن طولون، ص54

214. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر، ص 95
215. المقريزي : الخطط، جـ1، ص313، ابن دقماق : الأنتصار، جـ3، ص141
216. أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها، ص109
217. أحمد فكري : مساجد القاهرة، ص111
218. أبو المحاسن : النجوم، جـ3، ص11
219. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر، ص127
220. فريدة شافعي : مأذنة مسجد ابن طولون، ص168،167
221. زكي محمد حسن : الفن الإسلامي، جـ1، ص56
222. البلوي : سيرة ابن طولون، ص53
223. زكي محمد حسن : الفن الإسلامي، ص38
224. البلوي : سيرة ابن طولون، ص54 ن المقريزي : الخطط، جـ1، ص315
225. البلوي : سيرة ابن طولون، ص54
226. أبو المحاسن : النجوم، جـ3، ص61
227. المقريزي : الخطط، جـ1، ص317، أبو المحاسن : النجوم، جـ3، ص55
228. المقريزي : الخطط، جـ1، ص316
229. ابن دقماق: الأنتصار، جـ4، ص131، ابن أياس : بدائع الزهور، جـ1، ص 170
230. المقريزي : الخطط، جـ1، ص323
231. المقريزي : الخطط، جـ1، ص350
232. المقريزي : الخطط، جـ 1، ص359
233. عبد الرحمن زكي : أسوار القاهرة، ص469
234. ابن دقماق :الانتصار، جـ5، ص36
235. عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة، ص469
236. المقريزي : الخطط، جـ1، ص277
237. القلقشندي : صبح، جـ3، ص253
238. المقريزي : الخطط، جـ1، ص382
239. المقريزي : الخطط، جـ1، ص117
240. أبو شامه : الروضتين، جـ1، ق2، ص687
241. القلقشندي : صبح جـ3، ص355، المقريزي : اتعاظ الحنفا، جـ1، ص112
242. ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص25
243. المقريزي : الخطط، جـ2، ص 383

244. ناصر خسرو : سفرنامة، ص48
245. ابن دقماق :الانتصار، جـ5، ص35
246. المقريزي : الخطط، جـ1، ص377
247. ناصر خسرو : سفر نامة، ص89، عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة، ص469
248. أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة، 1965، جـ1، ص24
249. عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ى، ص469
250. ابن الصيرفي : الأشارة إلى من تال الوزارة، ص97
251. عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة، ص474
252. المقريزي : الخطط، جـ1، ص364
253. عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة، ص469
254. عبد الرحم زكي : أسوار القاهرة وأبوابها، ص32
255. شحاته عيسى إبراهيم، القاهرة، ص76
256. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص219، شحاته إبراهيم : القاهرة، ص276
257. المقريزي : الخطط، جـ2، ص273
258. حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد، جـ1، ص49، أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر، ص220
259. المقريزي : الخطط، جـ2، ص275
260. حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد، جـ1، ص51
261. المقريزي : السلوك، جـ1، ص556
262. المقريزي : الخطط، جـ2، ص276، حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد، جـ1، ص54، سعاد ماهر : مساجد مصر، جـ1، ص201
263. السخاوي : الضوء اللامع، جـ6، ص209
264. ابن إياس : بدائع الزهور، جـ3، ص62

نظم الحكم والإدارة
فى الدولة العباسية :

النظام الإدارى:

الخلافة:

الإمام أو الخلافة رئاسة دينية ودنيوينة نيابة عن النبي ﷺ أو على حد قول المأوردي: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنياط[1]، أو على حد قول ابن خلدون: حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدينا كلها ترجع ضد الشارع (أي المشرع) إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عند صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به[2]، والخليفة على هذا الأساس هو رئيس ديني وسياسي يجمع بين السلطتين الدينيةباعتباره إمامً للمسلمين يؤمهم للصلاة، ويسهر على تطبيق العدالة، ويُحيي الدين ويذب عنه، والدنيوية لأنه ينظر في مصالح المسلمين الدنيوية، والخلافة نظام مستحدث حتمته الظروف بعد وفاة النبي ﷺ دون أن ينص على الخلافة عيناً لأحد من الناس، لا لأببكر ولا لعلي، كأنما أراد الرسول ﷺ أن يترك الأمر شورى للمسلمين ليختاروا من يصلح لها من بينهم جرياً على النظام القبلي الذي ألفه العرب، والإمامة لا تورث بإجماع الفقهاء، وإنما تتم بالاختيار.

---

[1] المأوردي: الأحكام السلطانية، مصر 1298هـ، ص3.

[2] ابن خلدون: المقدمة، طبعة بيروت 1961م، ص328.

ونظام الحكم الوراثي على هذا النحو غير معرتف به في الإسلام[3]، ومع ذلك أقر الفقهاء أن جواز انعقاد الإمامة بولاية العهد ثابت بالإجماع أسوة بأببكر الذي عهد بها إلى عمر، فأثبت المسلمون إمامة عمر بعهد أببكر استناداً على أن الإمام هو ولي المسلمين والأمين عليهم، وأنه هو الذي يتظر في مصالح الأمة لدييهم ودنياهم، ويذكر ابن خلدون أنه يشترط في الخليفة خمسة شروط: العلم، العدل، الكفاية، سلامة الحواس والأعضاء، والنسب القرشي[4].

وقد استمرت الخلافة قائمة على الشورى سارية في عصر الخلفاء الرادين أي المردين من قِبل النبي ﷺ للسير على نهجه في الحكم، ثم تحول نظام الخلافة منذ قيام الدولة الأموية إلى مُلك استبدادي وراثي، على غرار ما كان معروفاً عند الفُرس والروم، وقد أطلق العرب على هذا النظام أسماء مختلفة، منها الفرعونية، بمعنى حكم الفرد المستبد، أو حُكم الجور والطغيان، والكسروية والهرقلية، وكلاهما يحمل نفس المعنى، مع زيادة المظاهر الملوكية من الأبهة والترف، وإضافة نظام الوراثة[5].

---

[3] محمد ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية، القاهرة 1952، ص169.

[4] المأوردي، ص8

[5] ابن خلدون: المقدمة، ص342.

فقد عدَّل الأمويين في حكم الدولة من تطبيق نظام الخلافة الراشدة القائم على الشورى والمستند على الدين، إلى نظام الملك القائم على التوريث، والمستند على الدنيا، واستحالة الخلافة بذلك إلى نظام أقرب ما يكون إلى النظام الملكي، مع تمسك شكلي بفكرة البيعة التقليدية، والالتزام بمعاني الخلافة من تحري الدين ومذاهبه والجري على منهاج الحق[6]، باستثناء الخلفاء المتأخرين من بني أمية، الذين سخروا طبيعة المُلك لتحقيق أغراضهم الدنيوية، ومقاصدهم من ركوب الشهوات والملذات، ومنا استخفاف بحق الرئاسة[7].

ولم يتغير نظام الخلافة في العصر الأموي من حيث الشكل عنه في عصر الراشدين، من حيث ارتكازه على قاعدة دستورية ثابتة هي الإجماع، ثم ظهر التغيير في نظام الخلافة ومدلوله منذ قيام الدولة العباسية، وبالذات منذ خلافة أبى جعفر المنصور، الذي تصدى لمشاكل عديدة واجهته، وتغلب عليها جميعاً، ولذلك يعتبر المنصور صاحب الفضل في إرساء الأساسا الحقيق للنظام العباسي، وحرص خلفائه من بعده على الدفاع عن هيبة الخلافة، وعلى تحقيق صورتها المركزية فيما يتعلق بالولايات التابعة

---

[6] ضياء الدين الريس، 94

[7] ابن خلدون: المقدمة، ص367

لسلطانها، فناضل المنصور وخلفائه من أجل تأكيد سلطان الخلافة وتحقيق المركزية، إلا أنه عندما فشل الخلفاء في تمكين سلطانهم في المغرب بسبب غلبة التيارات الإقليمية عمدوا إلى تطوير نظام المركزية، وذلك بتفويض قسم من السلطات إلى نائبين عن الخليفة، في رق العالم الإسلامي وغربه، يستمدانهما من الخليفة، والإقرار بالنزعات الإقليمية، ويتمثل ذلك في دولة الأغالبة في المغرب الأدنى، التي أقامها الرشيد لكي تحمل على عاتقها أعباء الخلافة في الغرب، والدولة الطاهرية لاتي أقامها المأمون في خراسان، وأسند رئاستها إلى قائده الفارسي طاهر بن الحسين.

وبمسايرة الخلافة العباسية للظروف الإقليمية ضمنت الإبقاء على نفوذها الروحي، ويسير التقسيم الذي أجراه المأوردي في نظام الإمارة على البلدان إلى إمارة استكفاء في حالة محافظة الخلفاء على المركزية[8]، وإمارة الإستيلاء في حالة الإقرار بالإقليمية يعبر هذا التقسيم عن التطور الذي طرأ على نظام اللاخفة من صورته المركيزة إلى صورته الإقليمية.

كذلك استجابت الخلافة للظروف الجديدة في ناحية أخرى، وهي الجمع بين نظامي الخلافة والإمامة[9]، وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى جنوح الخليفة

---

[8] بان خلدون: نفس المصدر، ص422.

[9] حرص الخلفاء في هذه المرحلة على تغيير الولاة وتبديلهم ضماناً لاستمرار تفوق السلطة المركزية، وتجنباً لقيام مراكز قوى في الدولة.

إلى الاستبداد بالسلطة، وقد يكون ذلك ناتجاً عن احتفاظه بالسلطان الروحي المستند على نظرية عصمة الإمامة، على نحو ما فعله الشيعة الإمامية والاسماعيلية، أو على الأساس المستند الإجماع على عدم جواز تعدد الإمامة، مما يكفل نوعاً من السيطرة على أقاليم الدولة الإسلامية[10]، أو ناتجاً عن تأثره بنظرية الحق الملكي المقدس التي كان يقول بها الفُرس، بمعنى أن الخليفة يحكم بتفويض من الله لا من الشعب[11]، من جهة، واستناداً إلى أن خلفاء بين العباس هم ورثة النبي ﷺ من جهة ثانية، وقد ترتب على ذلك أن خلفاء بني العباس سعوا إلى الاحتفاظ بالخلافة في دولة ثيقراطية أساس السيادة فيها لزعماء الدين، إبرازاً للتطور الذي طرأ على السلطة الخلافية في العصر الأموي[12]، فكان الخليفة يرتدي بردة الرسول ﷺ عند توليته الخلافة أو في بعض الحفلات الدينية، لحكم كونه نائباً عن النبي ﷺ في حكم السلمين، والتزم الخلفاء بلقب الإمام، وإن كان هذا اللقب فقد دلالته الأولى من حيث إمامة المسلمين في الصلاة، وادعى الخلفاء أنهم يعملون على إحياء السنة وإعادة الحكم القائم على العدل والمسأواة، فأحاطوا

---

[10] حسين محمود: العالم الإسلامي، ص122.

[11] قود عَبَّر المنصور بقوله: "إنما أنا سلطان الله في أرضه".

[12] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلامي السياسي، ج2؛ العصر العباسي الأول، القاهرة 1962، ص250.

أنفسهم بالفقهاء وساشتروهم في ماكل الدولة واتخذوا من الدين دعامة لتثبيت مركزهم السياسي.

وما دامت الخلافة العباسية أصبحت تستند على نظرية الحق الملكي المقدس، فهي تقر نظام الوراثة في البيت العباسي، وليس ضرورياً أن تكون وراثة مستقرة في الأبناء، وإنما كانت الخلافة ستتند إلى أن أقدر على تحمل تبعاتها من أفراد البيت العباسي، ويتم ذلك عن طريق أهل الحِل والعقد، أو أهل الاختيار وعلى رأسهم الخليفة ومن يحيط به من الخاصة وكبار القادة والوزراء، وكان قرار تعيين ولي العهد قراراً ملزماً يعطي لصاحبه حقاً في عنق من بايعوه، ولقد سار العباسيون على سياسة تولية العهد لأكثر من وأحد، ولم يتعظوا بما سببه ذلك من نكبات للدولة الأموية دفعتها إلى السقوط، ولهذا السبب اعتبر إبدال ولاة العهد بعد تعيينهم بآخرين نكثاً بالعهد، وكان من نتائجه نثر بذور العداء والحقد بين أفراد البيت العباسي، ونجمت عنه أزمات خطيرة ظهرت آثارها في فتنة الأمين والمأمون.

الوزارة:

استند العباسيون على الفرس فى تطوير نظمهم الإدارية كما استندوا عليهم فى تأسيس دولتهم إلى حد رسخت معه التقاليد الإدارية الفارسية

القديمة فى صميم نظم الإدارة العباسية بحيث يمكننا أن نطلق على العصر العباسى الأول بحق العصر الفارسى الأول أو عصر إحياء التقاليد فى العصر العباسى فقد سبقته مرحلة تمهيدية منذ خلافة عمر بن الخطاب الذى اقتبس نظام الديوان من الإدارة الفارسية متبعاً فى ذلك مشورة القيرزان[13]، وتابع الأمويون سياسة الاقتباس من الإدارة الفارسية فأخذوا المهام الخلافية ويحجب الخليفة عن العامة ويغلق بابه دونهم، كما اتخذوا الطراز الذى أصبح مظهراً من أبهة الملك وفخامة السلطان.

وبقيام الدولة العباسية ازداد النظام الفارسى الذى كان يعمل به زمن الساسانيين قوة، وسيطرت التقاليد الفارسية على أجهزة الدولة سيطرة شاملة وحلت جماعات من الموظفين الفرس محل الارستقراطية العربية التى كانت تحيط بالخليفة الأموى، واستحدث منصب الوزارة بنفس اختصاصاته المعروفة عند الفرس ولم تكن سلطات الوزير قد تحددت بعد فى بداية قيام الدولة بصورة واضحة (فى وزارة أبى سلمة الخلال) إلا أنها ستتدرج فى النمو وتتضح بمضى الوقت حتى تتخذ شكلها النهائى فى أواخر العصر العباسى الأول .

---

[13] الجهشيارى الوزراء والكتاب ، القاهرة 1938، ص11.

وليس من شأننا أن نتحدث عن لفظ الوزارة ومشتقاته اللغوية[14]، كما أنه ليس من شأننا أن نتتبع تطور استعمال لفظ الوزارة عند العرب منذ العصر الجاهلى[15]، فهذا يخرج بنا عن موضوع الدراسة ولكن إذا كانت الوزارة كاختصاص ومهام ولقب قد استحدثت فى العصر العباسى فإنها عرفت كاختصاص فقط دون اللقب فى العصر الأموى فكان عبد الحميد بن يحيى بن سعيد كاتب مروان بن محمد يقوم فى الخلافة مقام الوزير[16]، من حيث تقريب الخليفة له واعتماده عليه فى المشورة والرأى.

ولم يكتف العباسيون باقتباس نظام الوزارة من نظم الإدارة الفارسية القديمة بل عملوا على اختيار وزرائهم من الفرس وكان أبوسلمة الخلال أول من وزر لبنى العباس[17]، وسمى وزير آل محمد[18]، ويعلق ابن خلكان على استيزار السفاح له بقوله: "إن أبا سلمة أول من وقع عليه اسم الوزير وشهر

---

[14] راجع فى ذلك دراسة مشتقت اللفظية فى اللغة العربية : المأوردى: الأحكام السلطانية ، ص20؛ ابن طباطبا، ص 136؛ ابن منظور: لسان العرب المجلد الخامس، بيروت 1956، ص282؛ الفيروز بادى: القاموس المحيط، ج1، القاهرة 1344هـ، ص363؛ الزبيدى: تاج العروس، ج3، القاهرة 1306، ص 11؛ أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، القاهرة 1952، ص126.

[15] انظر فى ذلك المسعودى: التنبية والإشراف، ص194؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، القاهرة 1932، ص252 ؛ عبدالمنعم ماجد:: تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ، 1963، ص31.

[16] الإربلى: خلاصة الذهب المسبوك، ص58.

[17] الإربلى، ص54.

[18] الجهشيارى، ص56 ؛ ابن طباطبا ، ص138.

بالوزارة فى دولة بنى العباس ولم يكن قبله من يعرف بهذا النعت لا فى دولة بنى أمية ولا فى غيرها من الدول[19].

وكان اختصاص الوزارة الأول لبنى العباس كاختصاص الكتاب عند الأمويين فكان الخلفاء العباسيون يحرصون دائما عند اختيارهم لوزرائهم أن يكونوا ممن يجيد الكتابة[20]، ويعبر ابن طباطبا عن ذلك بقوله: "والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا فى دولة بنى العباس فأما قبل فلم تكن مقننه للقواعد ولا مقرره القوانين بل كان لكل وأحد من الملوك أتباع وحاشية فإذا حدث أمر استشار بذوى الحجى والآراء الصائبة فكل منهم يجرى مجرى وزير فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمى الوزير وزيرا وكان قبل ذلك يسمى كاتبا أو مشيرا[21]، ولما قتل أبوسلمة الخلال لم يتقلب أحد ممن استوزرهم السفاح بعده بلقب الوزارة تطيراً مما لحق به فخالد بن برمك على الرغم من مكانته السامية التى تبوأها كان يعمل عمل الوزارة ولم يتسم بالوزير[22]، كذلك تلقب أبو أيوب الموريانى الذى استوزره المنصور العباسى

---

[19] ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج1، ص446.

[20] كان أبوسلمة فصيحا عالما بالأخبار والأشعار والسير والجدل التفسير ، حاضر الحجة فلما بويع السفار استوزره وفوض الأمور إليه وسلم إليه الدواوين ولقب بوزير آل محمد. ابن طباطبا ، ص138. وكان الربيع بن يونس وزير المنصور فصيحا كافيا عاقلا فطنا خبيرا بالحساب والإعمال وكان أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدى كاتبا لنصر بن سيار أمير خراسان. ابن طباطبا، ص166.

[21] ابن طباطبا ، ص136.

[22] ابن طباطبا ، ص139

وأسند إليه عمل الدواوين بكاتب الخليفة[23]، وظلت الوزارة فى خلافة المنصور اسما على غير مسمى لاستبداده المطلق وتركيز السلطات فى يده وفى ذلك يقول ابن طباطبا: "لم تكن الوزارة فى أيامه طائلة لاستبداده واستغنائه برأيه وكفاءته مع أنه كان يشأور فى الأمور دائما وإنما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق[24]، ولهذا السبب اتسمت الإدارة العباسية فى العصر العباسى الأول بالمركزية المطلقة، فكان الخليفة مصدر السلطات، أما الوزير فكان مجرداً من كل سلطان ولم يعظم مركز الوزارة وتستقر قواعدها إلا منذ أيام المهدى وكان وزيره أبو عبيدالله معاوية بن يسار هو الذى رتب الديوان وقرر القواعد وكان كاتب الدنيا وأوحد الناس حذقا وعلما وخبرة[25]، وليس أدل على ارتفاع مكانة الوزير فى دولة بنى العباس بعد المهدى[26]، من الإشارة إلى المكانة التى تبوأها البرامكة فى خلافة الهادى والرشيد فقد

---

[23] ابن طباطبا ، ص139

[24] نفس المصدر ، ص156

[25] نفس المصدر ، ص163

[26] يقول ابن خلدون معبرا عن ضخامة سلطان الوزارة :"فلما جاءت دولة بنى العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبة وارتفعت ، عظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة فى إنفاذ الحل والعقد وتعينت مرتبته فى الدولة، وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل له النظر فى ميزان الحسبان ديوان المال لما تحتاج إليه خطته من قسم الأعطيات فى الجند فاحتاج إلى النظر فى جمعه وتفريقه وأضيف إليه النظر فى القلم والترسيل لصزن أسرار السلطان ... فصار اسم الوزير جامعاً لخطتى السيف والقلم وسائر معانى الوزارة والمعأونة حتى لقد دعى جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظلاه وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها إلا الحجابة.

قبضوا على أزمة الحكم وأصبحت شئون الدولة فى أيديهم يتصرفون فيها كيفما شاءوا إلى أن نكبهم الرشيد فى سنة 187هـ ومن الأمثلة الدالة كذلك على سمو مكانة الوزير استبداد الفضل بن سهل وأخوه الحسن بدولة المأمون والفضل بن الربيع بدولة الأمين.

- أنواع الوزارة فى العصر العباسى :

وكانت الوزارة فى العصر العباسى تنقسم إلى نوعين[27]:

1-وزارة تنفيذ: (وهى أيضا وزارة القلم وسلطتها محدودة) وهى التى تقتصر مهمة الوزير فيها على تنفيذ أوامر الخليفة وعدم التصرف فى شئون الدولة من تلقاء نفسه وإنما كان يعرض الأمور على الخليفة ويتلقى أوامره ضمنها وبذلك كانت مهمة الوزير أشبه ما تكون بمهمة الوسيط بين الخليفة والشعب.

2-وزارة تفويض: (وتعرف أيضا بوزارة السيف): وهى أن يكل الخليفة الوزارة إلى شخص يثق فيه ويفوض إليه النظر فى أمور الدولة والتصرف فى شئونها دون الرجوع إليه بحيث لا يبقى للخليفة بعد ذلك من السلطان إلا ولاية العهد، وحق عزل من يوليهم الوزير . ومن أشهر وزراء التفويض

---

[27] المأوردى الأحكام السلطانية ، ص18.

فى العصر العباسى الأول آل برمك وآل سهل والفضل بن الربيع الذى كان حاجبا للرشيد ثم استوزره بعد نكبة البرامكة. ومن دلائل ارتفاع منزلة الوزير إبان الفتنة بين الأمين والمأمون تلقب الفضل بن سهل وزير المأمون بذى الرئاستين لجمعه بين السيف والقلم وتلقبه بالوزير الأمير[28]، واستيزار المأمون بعده للحسن بن سهل وزواجه من ابنته بوران وتلقيبه بلقب ذى الكفايتين[29]، ومن أشهر وزراء التنفيذ فى عهد المأمون والمعتصم: أحمد بن أبى خالد وأحمد بن يوسف، ومحمد بن عبدالملك الزيات.

وكان يشترط فى الوزير لأهمية منصبه باعتباره وسيطا بين الخليفة والرعية – أن يكون فى طبعه جانب يناسب طباع الملوك وجانب يناسب طباع العوام حتى يتمكن من معاملة كل الفريقين بما يعينه على الاحتفاظ عند كل منهما بالقبول والمحبة والرضا وأن يكون أمينا صادقا صفات أخرى لا غناء له عنها كالفضل والكرم ليصطنع الأنصار والرفق والأناة والتثبيت فى الأمور، والحكم والوقار ونفاذ القول .

---

[28] ابن طباطبا ، ص202. ويقصد بالرئاستين : رئاسة الحزب ورئاسة التدبير (الجهشيارى، ص250) وقد عقد له المأمون على سنان ذى شعبتين وأعطاه مع العقد علما قد كتب عليه لقبه وكان الفضل بن سهل أول وزير اجتمع له اللقب والتأمير.الجهشيارى ، نفس المصدر.

[29] الصابى : رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، بغداد 1964، ص130.

وفى ضوء هذه الشروط كان الوزراء يختارون بدقة فقد روى عن المأمون أنه قال" أنى التمست لأمورى رجلا جامعا لخصال الخير ذا عفة فى خلائقه، واستقامة فى طرائقه، قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب إن أؤتمن على الأسرار قام بها وإن قلد مهمات الأمور نهض فيها يسكته الحلم، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة، له صولة الأمراء وأناة الحكماء، وتواضع العلماء وفهم الفقهاء إن أحسن إليه شكر وإن ابتلى بالإساءة صبر لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه". ومع ذلك ففى كثير من الأحيان كانت تتدخل بعض العوامل فى اختيار الوزير فكان أحيانا يقلد الوزارة مكافأة له على جهد بذله أو عون قدمه لشخص الخليفة. على أنه لم يعد ضروريا أن يراعى فى اختياره لا الجمع بين الصفات السابقة ولا ما قدمه للدولة أو الخليفة من أفضال وذلك عندما أصيبت الخلافة العباسية بالانحلال والضعف وأصبح اختيار الوزراء يتم وفقا لأغراض أخرى من أبرزها الرشوة التى أصبحت الوسيلة العملية للترشيح لهذا المنصب الكبير.

وكان من مهام وزراء العصر العباسى الأول الإشراف على دوأوين الدولة والشئون المإليه وشئون الترحيل والمكاتبات والشئون الحربية، ولهذا

أصبح الوزير يجمع فى عمله بين السلطتين المدنية والحربية أو بمعنى آخر بين السيف والقلم . كذلك كان من مهامه النظر فى قضايا الناس ومطالبهم وتعيين الولاة.

ومن الملاحظ أن معظم من تولى الوزارة فى العصر العباسى الأول منذ قيام الدولة حتى خلافة الرشيد كانوا يتفقون فى أمرين : الأول أنهم من الفرس والثانى ميلهم للعلويين وسعيهم فى الخفاء على نقل الخلافة إليهم وكان ذلك من العوامل التى ساعدت الخلفاء إلى نكبتهم لهم والتنكيل بهم[30].

وفى عصر المعتصم لم يعد للوزراء ما كان لهم من نفوذ وسلطان زمن المأمون بسبب اتساع نفوذ قواد الجيش الأتراك من جهة وسيطرة الخليفة على النواحى السياسية والإدارية من جهة ثانية. وهناك ظاهرتان واضحتان فى وزراء هذا العصر هما:

1- لم يكن من بين وزراء المعتصم والواثق على كثرتهم من كان أديبا حسن المعرفة بالعلم إلا محمد بن عبدالملك الزيات، فالفضل بن مروان أول وزراء المعتصم لم يكن من الكتاب وإنما كان عاميا لا علم لديه ولا معرفة،

---

[30] إبراهيم سلمان : نظام الوزارة فى العصر العباسى الأول ، ص25 وما يليها.

وكان سيء السيرة جاهلاً بالأمور وكذلك كان أحمد بن عمار بن شادى وزير المعتصم بعد الفضل – رغم ثرائه– جاهلاً بآداب الوزارة قليل الثقافة.

2-كان معظم وزراء هذا العصر ضحايا مطامع الخلفاء فى أموالهم واستصفوا أملاكهم، كما حدث للوزير الفضل بن مروان فى عصر المعتصم وابن الزيات فى خلافة الواثق.

(3) **الحجابة**:

فى عصر الدولة الأموية ظهرت وظيفة فى البلاط لها أهميتها بالنسبة للخليفة هى وظيفة الحاجب وكان من اختصاصاته حجب الخليفة عن الناس وتنظيم مثولهم أمام الخليفة وفقا لمراكزهم وأهمية أعمالهم، ويعتبر معاوية أول من أرخى الستور من الخلفاء فى الإسلام[31]، واتخذ الخلفاء الأمويون من بعده حجابا لهم تشبها بالملوك والأكاسرة وحرصا على أنفسهم من خطر الاغتيالات السياسة فكان الحجاب يحجبون الخليفة عن العامة ويغلقون بابه دونهم[32]، والحجابة مما اقتبسه العرب من الإدارة الفارسية عندما أخذوا بمظاهر الكسروية ومن أشهر حجاب الأمويين خالد بن عبدالملك

---

[31] ابن خلدون المقدمة، ص432، كان الحجاب يمنعون الناس من الدخول على الخلفاء إلا بإذن خاص، ولم يتستثنوا على حد قول عبدالملك بن مروان إلا صاحب الطعام والآذان للصلاة والبريد.

[32] ابن خلدون: المقدمة، ص432. كان الحجاب يمنعون الناس من الدخول على الخلفاء إلا بإذن خاص، ولم يستثنوا على حد قول عبدالملك بن مروان إلا صحاب الطعام والآذان للصلاة والبريد.

وحاجباه[33]، وأبوعسكر مولى سليمان بن عبدالملك وحاجبه [34]، وحبيس ومزاحم موليا عمر بن عبد العزيز وحاجباه[35]، وسعيد مولى يزيد بن عبدالملك وحاجبه[36]، وغالب مولى هشام وحاجبه والأبرش الكلبى وحاجبه وكان هذا الحاجب يدخل عليه فيقول فلان بالباب وفلان فيقول : أئذن فلا يزال الناس يدخلون عليه حتى إذا انتصف النهار وضع الطعام ورفعت الستور[37]، ومن حجاب الأمويين أيضا قطرى مولى الوليد بن يزيد[38]، وقطر مولى يزيد بن الوليد بن عبدالملك وحاجبه إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك[39]، وصقلاب مولى مروان بن محمد وحاجبه[40].

واتخذ الخلفاء العباسيون الحجاب أيضا وبالغوا فى ذلك تشبها بالأكاسرة وحماية لأنفسهم من الساخطين عليهم، وزادوا فى منع الناس عن ملاقاتهم إلا فيما عظم من الأمور، وازدادت أهمية هذه الوظيفة منذ عهد المهدى العباسى ومن أشهر حجابة: الربيع بن يونس والفضل بن الربيع

---

[33] الإربلى ، ص3.

[34] الإربلى ، ص17.

[35] الإربلى ، ص21.

[36] الإربلى ، ص26.

[37] الإربلى ، ص27.

[38] نفس المصدر ، ص44.

[39] نفس المصدر ، ص47.

[40] نفس المصدر ، ص48.

والربيع بن حصين والحصين بن سليمان[41]، ومما يدل على أهمية الحجابة أن الربيع بن يونس كان وزيراً للمنصور وظل يقوم بمهمة الوزارة إلى أن مات المنصور بمكة وقام الربيع يأخذ البيعة للمهدى العباسى، فشكر له المهدى ذلك ولم يستوزره وإنما جعله حاجبه وذكروا أنه لم ير فى الحجابة أعرف من الربيع ومن ولده الفضل الذى حجب لهرون الرشيد ولمحمد الأمين ومن عباس بن الفضل الذى حجب للأمين بمعنى أن عباس هذا كان حاجبا ابن حاجب وقد مدحهم أبو نواس بقوله:

ساد الملوك ثلاثة ما منهم * أن حصلوا إلا أغر قريع

عباس عباس إذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع

ويأتى ابن طباطبا بمثل آخر يعبر عن أهمية منصب الحاجب فيذكر أن الربيع بن يونس لما قدم من مكة بعد موت المنصور وأخذ البيعة للمهدى وفد إلى باب أبى عبدالله معاوية بن يسار (كاتب المهدى ونائبه قبل أن يلى الخلافة وكان غالباً على أمور المهدى لا يعصى قولا ولهذا استوزره المهدى وفوض إليه تدبير الدولة وسلم إليه الدواوين لزيارته زيارة مجاملة قال فوصل الربيع إلى باب أبى عبيدالله الوزير فوقف ساعة حتى خرج الحاجب ثم دخل

---

[41] الإربلي: المصدر نفسه، ص48.

فاستأذن له فإذن له فلما دخل عليه لم يقم له (مع أن الربيع بن يونس كان وزيرا للمنصور) ثم سأله عن سيره وحالة فأخبره وشرع الربيع يحدثه بما جرى فى مكة من موت المنصور واجتهاده فى أخذ البيعة للمهدى فسكته، وقال: لقد بلغنى الخبر فلا حاجة إلى أعادته فاغتاظ الربيع، ثم قام فخرج، وقال لابنه للفضل: على كذا وكذا إن لم أبذل مالى وجاهى فى مكروهه وإزالة نعمته. ومضى الربيع إلى المهدى فاستحجبه واختص به، كما كان مع أبيه". وما زال الربيع ابن يونس يكيد له فى شخص ابنه (أى ابن أبى عبيدالله) لدى الخليفة، تارة يرميه ببعض حرم المهدى، وتارة يرميه بالزندقة حتى رسخ فى ذهن المهدى زندقة ابن الوزير، فأمر وزيره أبا عبيدالله بقتل ابنه فقام الوزير وعثر ووقع وارتعد، فأعفاه من قتله وأمر بعض الحاضرين بقتله، فضرب عنقه واستمر الوزير فى خدمة المهدى، إلى أن أمر المهدى حاجبه الربيع بحجبه عنه فحجبه[42].

وعن طريق الربيع بن يونس استوزر المهدى يعقوب بن داود لصداقة كانت بين الربيع وبينه فجعل يثنى على يعقوب فى خلواته بالمهدى حتى استوزره[43]، وغلب على المهدى حاجبه الفضل بن الربيع[44]، ومن حجاب

---

[42] ابن طباطبا ، ص64-166.

[43] نفس المصدر، ص106.

الرشيد بشر بن ميمون مولاه ومحمد بن خالد برمك[45]، ثم الفضل بن الربيع[46]، أما المعتصم فقد استحجب وصيفا التركى، كما استحجبه أيضا الواثق.

الكتاب:

كان يعين الوزراء وأصحاب الدواوين فى مهامهم أعوان من أرباب الأقلام عرفوا بالكتاب وكانت لهذه الطائفة أهمية خاصة لارتباطهم بالوزراء وأصحاب الدواوين بدليل أن الكثير منهم كان يتدرج فى الرقى حتى يصل إلى منصب الوزارة ولأهمية الكتاب ألغت فيهم الكتب فمن بين من كتب فى هذا الباب: ابن قتيبة الذى صنف كتابه أدب الكتاب وابن دسترويه الذى ألف كتاب الكتاب ومحمد بن داود بن الجراح صاحب كتاب الوزراء والجهشيارى صاحب كتاب الوزراء والكتاب وقد تعددت اختصاصات الكتاب فمنهم من كان من كتاب الرسائل أى مخاطبة العامة والأمراء ومنهم من تولى كتابة الخراج ومنهم كتاب الجند يقيدون أسماءهم وصفاتهم وطبقاتهم وأعطياتهم ونفقات سلاحهم ومنهم كتاب الشرطة وكتاب القضاه وأعظم هؤلاء الكتاب جميعا فى المكانة كتاب الرسائل الذين يعتبرهم الحكام نظام الأمور وكمال الملك وبهاء

---

[44] اليعقوبى ، ج3، ص406.

[45] الإربلى ، ص171.

[46] الجهشيارى، ص184. صرف الرشيد محمد بن خالد البرمكى عن حاجابته وقلدها الفضل بن الربيع فى سنة 179م.

السلطان وهم الألسنة الناطقة عن الملوك وخزان أموالهم وأمناؤهم على رعيتهم وبلادهم[47]، ولحساسية عملهم وأهميته كان الخلفاء يتخيرون الكتابة أشخاصا تتوفر فيهم صفات معينة. وفى ذلك يقول ابن خلدون "أن صاحب هذه الخطة لابد من أن يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم وعارضة البلاغة، فإنه معرض فى أصول العلم لما يعرض فى مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل مع ما يضطر إليه فى الترسيل وتطبيع مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها[48].

وقد شارك الكتاب ومن وصل منهم إلى منصب الوزراة فى نشر الثقافة لأنهم بحكم مناصبهم كانوا مضطرين إلى معرفة أحوال الناس الاجتماعية وأن يعرفوا من اللغة والآداب وعلوم الدين والفلسفة والتاريخ طرفا لاحتياجهم إلى هذه العلوم فى مواقفهم[49]، كما أن الكثير منهم لجمعهم بين الآداب العربية والفارسية وأسهموا بدور كبير فى إحياء الثقافة الفارسية القديمة وبفضلهم اتسمت أفاق الفكر وترعرعت شجرة الثقافة الإسلامية[50]، وترجم إلى العربية

---

[47] الجهشيارى ، ص3.

[48] ابن خلدون المقدمة ، ص438 . ويأتى ابن خلدون برسالة لعبد الحميد الكاتب إلى الكتاب فيها تضمين لما يتوفر فيهم.

[49] أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج1، ص177.

[50] مصطفى الشكعة الآداب فى موكب الحضارة الإسلامية ، القاهرة 1986 ، ص353.

العديد من الكتب الفارسية واليونانية وقد لمع من هؤلاء الكتاب أسماء كثيرة منهم عبدالله بن المقفع ويحيى بن خالد وأحمد بن يوسف، وأحمد بن أبى دؤاد والفضل بن سهل ومحمد بن عبدالملك الزيات وامتاز هؤلاء الكتاب بحسن الكتابة وغزارة العلم وسعة الاطلاع، فكان جعفر البرمكى "كاتباً بليغاً، وكان اذا وقع نسخت توقيعاته وتدرست بلاغاته"[51]. وكان أحمد بن يوسف ابن صبيح كاتب الرشيد على حظ كبير من الثقافة الإسلامية، وكان كاتبا فاضلا أديبا شاعرا فطنا بصيرا بأدوات الملك وآداب السلاطين[52].

* الدواوين:

توسع العباسيون فى الدواوين بحكم اصطناعهم لنظم الإدارة الفارسية[53]. وكلمة الديوان كلمة فارسية تعنى السجل الذى يكتب فيه ما يختص بشئون، ثم أصبحت تدل على المكان الذى يعمل فيه الكتاب على اختلاف مهامهم، وقد اصبح لموظفى الدواوين فى العصر العباسى شأن كبير فى الدولة، وكانت لهم علامات تميزهم عن غيرهم من رجال الدولة كالدواة والكرسى والوسادة والمساند الخشبية، وهى أدوات كانت تستخدم فى الكتابة

---

[51] الجهشيارى ، ص158.

[52] ابن طباطبا ، ص206.

[53] دواوين الدولة العباسية هى : ديوان الخراج وديوان الدية وديوان الزمام وديوان الجند وديوان البريد وديوان زمام النفقات وديوان الرسائل وديوان الحوائج وديوان الأختام ، وديوان المنح أو المقاضاة وديوان الأكرية وديوان الزنادقة

والجلوس فى الديوان. ويرجع الفضل فى تنظيم إدارة الدواوين فى العصر العباسى الأول إلى خالد بن برمك، فقد كان سبيل ما يثبت فى الدواوين أن يثبت فى صحف, فكان خالد أول من سجله فى دفاتر[54] وهو الذى أشار على السفاح – عندما عزم على التخلص من أبىمسلم الخرسانى– أن يأمر بإسقاط من لم يكن من أهل خراسان من الجند فى ديوان الجند, فأسقط عددا كبيرا من أصحاب أبىمسلم[55]، ولما تولى أبوجعفر المنصور، صرف خالد بن برمك عن الديوان وقلده أبا أيوب الموريانى. وإلى المهدى يرجع الفضل فى إنشاء ديوان الزمام سنة 162 لجمع ضرائب العراق, وهو أول من أحدث هذا الديوان, وفيما يلى أهم الدواوين فى الدولة العباسية:

– ديوان الرسائل:

كانت مهمة صاحبه إذاعة المراسيم والمنشورات وتحرير الرسائل السياسية وختمها بخاتم الخلافة، وقد تعقد هذا الديوان فى العصر العباسى عنه فى العصر الأموى, وتعددت اختصاصاته, وكثر عدد من يعملون فيه، وذلك حتى يرقى إلى مستوى السياسة العباسية ومواجهة احتياجات الدولة ومشاكلها، وقد استقرت دعائم هذا الديوان منذ أيام المنصور، وجعله الخليفة

---

[54] الجهشيارى ، ص59.

[55] الجهشيارى ، ص59.

قريباً من قصره فى بغداد وأسنده الى بن صدقة[56]، وقد تعرض هذا الديوان للتطوير فى العهود التإليه وفصلت المراسلات الخاصة بالخليفة عن مراسلات الدولة التى أصبح يشرف عليها الوزراء إشرافا مباشرا, وأصبحت لصاحب ديوان الرسائل مكانة بارزة عند الخليفة بحكم التصاقه به, وكان الخليفة يستشيره ويدنيه منه[57].

وكان يعمل بديوان الرسائل موظفون تعددت مهامهم، فقد وجد كتاب رؤساء يقومون بالإنشاء وكتابة الردود والتوقيعات[58]، وآخرون يساعدونهم فى التلخيص والتبييض وأصبح لهذا الديوان محفوظات خاصة يتولى الإشراف عليها الخازن[59]، فكانت أصول المراسلات ونسخها الواردة تنظم فى ملفات يقال لها أضابير توضع عليها بطائق تدل على محتوياتها ليسهل الرجوع إليها عند الضرورة. وكان الكاتب يصدر السجلات من الديوان ويكتب فى آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم الخليفة، وهو طابع منقوش فيه اسم الخليفة أو شارته يغمس فى طين أحمر مذاب بالماء يسمى طين الختم ويطبع به طرف

---

[56] المسعودى ، ج7، ص385.

[57] حسن محمود ، العالم الإسلامى ، ص144.

[58] المسعودى ، ج7، ص 385– 386.

[59] كانت أرزانى الرؤساء فى زمن المنصور 300 درهم للرجل وظل الحال كذلك حتى زمن الفضل بن سهل فى خلافة المأمون فوسع الجارى الجهشيارى ، ص89.

السجل عند طيه وإلصاقه وعرف التوقيع الخلافى فى العصر العباسى بالعلامة[60].

- ديوان الخاتم:

كانت مهمة صاحب هذا الديوان حزم الأوامر الخلافية والرسائل وختمها بالشمع ثم الضغط عليه بخاتم صاحب الديوان حتى لا تتعرض للتزوير.

- ديوان البريد:

استحدثه معاوية بن أبى سفيان حتى تصل الأخبار إليه بسرعة وتوسع فى العباسيون وطوروه بحيث وصل فى عصرهم إلى درجة عاليه من الكمال، ومن المعروف أن الفضل فى تطويره وتحسين نظمه ووسائله يرجع إلى أبى جعفر المنصور، مستهدفاً فى ذلك الوقوف على أحوال الولايات والكشف عن حركات التمرد والثورة والقضاء عليها فى وقتها وقد زاد ارتباط عمال البريد فى عهده بالعاصمة بغداد مباشرة دون أن يخضعوا لنفوذ الولايات وكان هؤلاء العمال البريديون إلى جانب عملهم الأساسى –وهو نقل الرسائل– يشتغلون بالتجسس على كبار الموظفين ومراقبة الولاة فى الأقاليم التابعة للخلافة العباسية، ولهذا السبب حظى صاحب ديوان البريد فى عصر المنصور بمكانة

---

[60] عبدالمنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص36.

عإليه تسمو مكانة الوالى نفسه[61]، وفى عصر المهدى زادت أهمية البريد فأقيمت له سنة 166هـ محطات بين مكة والمدينة واليمن[62]، واتخذت له البغال والإبل خاصة بعد ثورة الحسنيين فى الحجاز وأصبح لديوان البريد أهمية إبان النزاع بين الأمين والمأمون فعندما تبين المأمون نوايا الأمين ضده بادر بقطع البريد عنه فى سنة 194هـ، كما ظهرت أهمية البريد فى عصر المعتصم عندما تولى عجيف مهمة القضاء على حركات الزط بالبصرة وأمكنه بفضل البريد من إبلاع الخليفة بكل أخبار قمعه لها فقد أمر الخليفة بترتيب الخيل فى كل سكة من سكك البريد تركض بالأخبار "فكان الخبر يخرج من عند عجيف فيصل إلى المعتصم من يومه"[63]، كذلك أدى البريد خدمات جليلة للمعتصم عندما تصدى للقضاء على حركة الخرمية والمحمرة ولولا سهولة الاتصال بمواضع البابكية عن طريق سكك البرد لما أمكن لقادة المعتصم أن يقضوا على بابك وكان المعتصم يوجه إلى الأفشين كل يوم منذ أن رحل من برزند إلى أن وافى سامراء فرسا وخلعه، وكان المعتصم لشدة

---

[61] كان المنصور يقول : ما كان أحوجنى إلى أن يكون على بابى أربعة نفر " لايكون على بابى أعف منهم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين من هم ؟ قال: هم أركان الملك لا يصلح الملك إلا بهم، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم ، إن نقصت واحدة تدعى وهى: أما أحدهم فقاض لا تأخذه فى الله لومة لائم والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى والثالث خراج يستقصى ولا يظلم الرعية، فإنى عن ظلمها غنى ، والرابع ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات يقول فى كل أمراة أه أه ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب بخبر إلى هؤلاء على الصحة. الطبرى ، ج9، ص297.

[62] الطبرى ، ج1، ص 8؛ السيوطى ، ص 254.

[63] ابن منظور: لسان العرب، مادة برد ، ج3، طبعة صادرة ، ص86.

اهتمامه بأمر بابك وأخباره، ولفساد الطريق بسبب الثلج وغيره جعل من سامراء إلى عقبه حلوان خيلاً مضمرة على رأس كل فرسخ معه فجهر مرتب فكان يركض بالخبر ركضا حتى يؤديه من وأحد إلى وأحد يداً بيد وكان ما خلف حلوان إلى أذربيجان قد رتبوا دواب المرج كل دابة على رأس فرسخ وجعل لهم ديادبة (حراس) على رؤوس الجبال بالليل والنهار وأمرهم أن ينعروا إذا جاءهم الخبر، فإذا سمع الذى يليه التغير تهيأ، فلا يبلغ إليه صاحبه الذى نعر حتى يقف له على الطريق فيأخذ الخريطة (الرسالة) منه فكانت الخريطة تصل من عسكر الأفشين إلى سامراء فى أربعة أيام وأقل[64].

وما دمنا بصدد الحديث عن البريد فلابد من معرفة أصل لفظة بريد ومشتقاتها ومن المعروف أن هناك تفسيرات مختلفة لكلمة بريد فبعضهم يجعل البريد لفظا عربيا مشتقا من المصدر برد أو أبراد بمعنى أرسل البريد[65]، أى أرسل الرسل على دواب البريد وقيل أنها لفظة فارسية – وهو الأصح– مشتقة من كلمة "بريده دم" ومعناها مقصوص الذنب، وذلك أن الفرس كانوا يقصون ذنب بغل البريد تمييزا له عن غيره من البغال. وقد

---

[64] الطبرى ، ج10، ص306.

[65] الطبرى، ج10 ، ص332.

انتقلت كلمة بريد العربية إلى اللاتينية veredus بمعنى خيل البريد[66]، ومن وسائل النقل فى البريد الخيل والبغال والإبل، التى كانت تقام لها مراكز أو منازل فى الطرق الرئيسية الموصلة إلى إقليم الخلافة كذلك استخدم الحمام الزاجل فى نقل الرسائل وكان يعرف باسم جناح المسلمين وتوسع المسلمون فى استخدامه إبان الحروب الصليبية.

- ديوان الزمام أو الأزمة:

استحدث هذا الديوان فى خلافة المهدى فى سنة 162هـ وفى ذلك يقول الجهشيارى : وقلد عمر بن يزيد دوأوين الأزمة فى سنة اثنتين وستين ومائة وقد قيل أن المهدى أول من أحدثها فلما تضعضعت حال عمر بن بزيع فى سنة 168 قلد المهدى عليا بن يقطين زماما على الأزمة[67]، فلما تولى المهدى الخلافة أقر الربيع بن يونس على ديوان الأزمة إلى أن توفى الربيع سنة 169هـ فلقد الهادى إبراهيم بن ذكوان الحرانى هذا الديوان[68]، وظل إبراهيم يتقلد هذا الديوان إلى أن نكبه الرشيد ونصب مكانه أبا عبيدالله معاوية بن عبدالله وزير المهدى ولكنه استعفى لكبر سنه[69]، وكانت من

---

[66] الجهشيارى ، ص 106 ؛ الطبرى ، ج9، ص342.

[67] الجهشيارى ، ص125؛ الطبرى ، ج10، ص10، ويسمى الطبرى هذا الديوان زمام الأزمة

[68] الجهشيارى ، ص123.

[69] الجهشيارى ، ص132.

اختصاصات صاحب هذا الديوان مراجعة حسابات الدواوين فيما يتعلق بالوارد والنفقات، وفى ذلك يقول الطبرى: "وذكر أحمد بن موسى بن حمزة عن أبيه قال: أول من عمل ديوان الزمام عمر بن يزيع فى خلافة المهدى وذلك أنه لما جمعت له الدواوين تفكر فإذا هو بزيع يضبطها إلا بزمام يكون له على كل ديوان فاتخذ الخراج إسماعيل بن صبيح، ولم يكن لبنى أمية دوأوين أزمة" وكان يتولى زمام خراج العراق النعمان بن عثمان[70].

لم تكن السلطة التنفيذية منفصلة عن السلطة القضائية فى زمن الرسولﷺ فقد كان ﷺ يتولى الفصل فى الخصومات بنفسه تطبيقا لأحكام الشريعة الإسلامية ومنذ أن انتشرت الدعوة الإسلامية فى الجزيرة أذن الرسول ﷺ لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس بالكتاب والسنة والاجتهاد كما أذن لبعضهم بالفتيا وفى خلافة أبى بكر الصديق أسند القضاء إلى عمر ولكن منذ أن اتسعت الدولة العربية بالفتوحات فى زمن عمر وارتبط العرب بغيرهم من الشعوب، استلزم الأمر إدخال نظام تشريعى لفض الخصومات فكان عمر أول من عين القضاة فى الأقاليم للفصل فى الخصومات وفقا لأحكام الشريعة. وظل القضاء فى العصر الأموى بسيطا كما كان الأمر فى عصر الخلافة

---

[70] الجهشيارى ، ص346.

الراشدة. وكان القاضى يعتمد على الاجتهاد فى الأحكام مستعينا بالكتاب والسنة والإجماع، وكان يصدر أحكامه مستقلا فى رأيه عن أى تأثير خارجى عليه بخلاف ما حدث في العصر العباسى إذ كان الخليفة الإمام يخول لنفسه الحق فى أن يقضى على استقلال القضاة وكان يتدخل فى الأحكام ويوقف بعضها إذا صدرت على غير هواه، إذ كان يخشى أن تتعارض أحكام القضاة مع مبادئه بل إن الخليفة كان يبيح لنفسه أن يختار قضائه على الأقاليم بنفسه فى كثير من الأحيان وأول من ولى قضاة الأمصار من خلفاء العباسيين المنصور[71].

وقد تعقد نظام القضاء فى العصر العباسى لتعقد الحياة الاجتماعية وما طرأ على المجتمع العراقى فى هذا العصر من أساليب جديدة فى الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية هذا بالإضافة إلى ظهور المذاهب الأربعة مما ترتب عليه ضعف روح الاجتهاد فى الأحكام، بحكم التزام القضاة فى أحكامهم بأحد هذه المذاهب، فكان قاضى العراق يحكم وفق مذهب أبى حنيفة بينما ساد فى مصر المذهب الشافعى وفى الشام والمغرب والأندلس المذهب

---

[71] الكندى كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ط جست 1912، ص371. ابن ابيك درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان ، مخطوطة رقم 4409 بدار الكتب المصرية ، ورقة 249.

المالكى، وقد نتج عن ذاك أن أصبح فى كل ولاية قضاة يمثلون المذاهب الأربعة ينظر كل منهم فى النزاع الذى يقوم بين من يدينون بعقائد مذهبه[72].

*** النظام القضائى:**

وكان يشترط فى اختيار القضاة الذكورية والبلوغ والعقل والحرية، والإسلام، والعدالة والسلامة فى السمع والبصر، والعلم هذا بالإضافة لى شروط أخرى إلزامية كالشرف والأناه والتفقه . وقد اتسعت سلطة القضاة فبعد أن كان عملهم يقتصر على الفصل فى الخصومات أصبح يجمع إلى ذلك استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر فى أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفه، وفى وصايا المسلمين وأوقاتهم، وتزويج الأيامى عند فقد الأولياء والنظر فى مصالح الطرقات والابنية وتصفح الشهود والأمناء والنواب. ونظراً لتوسع مهام القضاة وتعدد اختصاصاتهم كان يعينهم مساعدون ونواب يعرفون بنواب الحكم وكان القاضى يتخذ شهوداً عرفوا بالأمانة والتفقه فى الدين ولذلك سموا بالشهود العدول أى الذين لا يشك فى ذممهم، وكان المجلس الذى يتولى فيه القاضى الحكم يعرف بمجلس الحكم وكان يعقد فى المسجد الجامع[73]، ثم أًصبح يعقد

---

[72] ابن خلدون : المقدمة ، 392.

[73] عبدالمنعم ماجد::تاريخ الحضارة الإسلامية، ص48.

فى دار القاضى، وذلك بعد أن تعددت المساجد الجامعة فى المدينة الواحدة وكان يعقد فى قصر الخلافة فى حالة إذا ما كان القضاء متعلقا بالمظلم[74]، ويتألف مجلس الحكم من القاضى والشهود العدول والموقعين الذين يسجلون محضر الجلسة والحجاب الذين يقومون بإدخال الخصوم وكان القاضى فى عصر الدولة الأموية يجلس مجلسه بدون مراسم، إلا أنه منذ العصر العباسى أصبح يتخذ لنفسه بعض الرسوم كأن يضع الطيلسان على منكبيه ويعقد بوسطه سيفا ويتوشح بالسواد أو البياض حسب مذهبه وأول من ميز لباس القضاة والعلماء القاضى أبويوسف فأصبح القاضى يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة[75].

ثم استحدث فى زمن الرشيد منصب قاضى القضاة وهو يقابل منصب وزير العدل فى العصر الحديث، إذ كانت له الرئاسة على جميع القضاة فكان يستنيب عنه القضاة فى الأقاليم. وأول من تولى هذا المنصب القاضى أبو يوسف يعقوب صاحب أبى حنيفة لعلمه ودرايته بالشئون القضائية والإدارية، فقد كان أبو يوسف أفقه أهل عصره فلم يتقدم عليه أحد فى زمانه، وكان بالنهاية فى العلم والحلم والرياسة والقدرة والجلالة، وهو أول من وضع الكتب

---

[74] عبدالمنعم ماجد:.تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 48

[75] ابن خلدون: المقدمة

فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة، وأملى المسائل ونشرها وبث علم أبى حنيفة فى أقطار الأرض[76]، وأبو يوسف يعقوب هذا هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن جنبه الأنصارى، سمع أبا إسحاق الشيبانى وسليمان التميمى ويحيى بن سعيد والأعمش وهشام بن عروة بن الزبير، ولاه الهادى القضاء، ثم استخدمه الرشيد، وعرف بصاحب أبى حنيفة إذ كان يتردد عليه وهو فقير، وكان أبويوسف يقول "توفى والدى وخلفنى صغيرا فى حجر أمى فأسلمتنى إلى قصار أخدمه، فكنت أدع القصار وأمضى إلى حلقة أبى حنيفة فأجلس وكانت أمى تجىء خلفى فتأخذ بيدى وتذهب بى إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعنى بى لما يرى من حرصى على التعلم... ثم لزمته فنفعنى الله بالعلم، ورفعنى حتى تقلدت القضاء وكنت أجالس الرشيد أكل معه على مائدته[77].

وارتفعت منزلة القضاة فى عصرى المأمون والمعتصم فقد عهد المأمون إلى قاضيه أبى محمد يحيى بن أكثم بامتحان القضاة الذين يراد توليتهم من وجوه الفقهاء وأهل العلم فى بغداد [78]، كذلك أدناه المأمون إليه وكان إذا ركب مع المأمون فى سفر ركب معه بمنطقة وقباء وسيف بمعاليق وشاشية وإذا كان الشتاء ركب فى أقبية الخز وقلانس والسمور والسروج

---

[76] ابن العماذ: شذرات الذهب ، ج1، ص301؛ الإربلى ، ص129.

[77] الإربالى ، ص131.

[78] ابن طيفور: بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية ، بغداد 1968، ص40.

المكشوفة[79]، وبلغ من أهمية القاضى ابن أبى دؤاد أن المعتصم لم يكن يبت فى أمر إلا برأيه[80]، وكان القضاء ينقسم إلى قضاء شرعى وقضاء مدنى وكان القاضى الشرعى يفصل فى المسائل المتعلقة بالزواج والطلاق والمواريث والأوقاف، أما القضاء المدنى فاشتمل على ثلاثة خطط هى: النظر فى المظالم والشرطة المدنية والحسبة.

- النظر فى المظالم:

هو منصب قضائى هام تختلط فيه سطوة السلطنة ونصفه القضاء ويحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة، ويقضى برفع الظلم عن كاهل المظلوم، وكان متولى النظر فى المظالم يمضى ما عجز القضاء عن إمضائه، لأن سلطته تفوق سلطة القاضى عندما يتظلم المتقاضون من حكم جائر. وكان يرأس محكمة المظالم الخليفة نفسه أو من ينوب عنه من كبار رجال الدولة وأول من جلس النظر فى المظالم فى الدولة الأموية عبدالملك بن مروان الذى خصص يوماً لبحث الشكايات[81]، وظلت المظالم ترفع إلى الخليفة مباشرة حتى قيام الدولة العباسية فعهدوا بالنظر فيها إلى قاض يعرف بصاحب المظالم ينوب عن الخليفة، ولا يشترط فيه أن يكون قاضيا، فقد يكون وزيراً.

---

[79] المسعودى: مروج الذهب ، ج3، ص435.

[80] ابن خلكان: وفيات الأعيان ، طبقة القاهرة ، 1948، ج5، ص198.

[81] المأوردى: الأحكام السلطانية ، 74.

وكان مقر النظر فى المظالم قصر الخليفة أو المسجد الجامع. ويعتبر المهدى أول من اهتم من خلفاء بنى العباس بالنظر فى المظالم[82]، وكان يجلس فى كل وقت لرد المظالم، وروى عنه أنه كان إذا جلس للمظالم قال: " أدخلوا على القضاة، فلو لم يكن ردى للمظالم إلا للحياء منهم لكفى"[83]، وتابع الخلفاء العباسيون بعده الجلوس للمظالم، ومن هؤلاء الخلفاء الهادى الذى كان يجلس للمظالم ويفصل فيها بنفسه ولكنه كان يستغل جلوسه لمضايقة من كان يحقد عليهم، ويذكر الجهشيارى أنه كان يحقد على عمارة بن حمزة (متولى الخراج بالبصرة) أيام كان وليا للعهد، فلما ولى الخلافة دس إليه رجلا يدعى عليه أنه غصبه الضيعة المعروفة بالبيضاء بالكوفة وكانت قيمتها ألف ألف درهم، " فبينما الهادى ذات يوم قد جلس للمظالم وعمارة بحضرته، وثب الرجل فتظلم منه فقال الهادى لعمارة: ما تقول فيما ادعاه الرجل؟ فقال: إن كانت الضيعة لى فهى له، وإن كانت له فهى له، وانصرف على المجلس"[84].

وذكروا أنه تأخر عن الجلوس للمظالم أياماً، فدخل عليه على بن صالح وقال له إن العامة لا تستقيم أمرها إن لم تجلس للمظالم، فقال: ائذن للناس على بالجفلى لا النقرى. فخرج على بن صالح وهو لا يدرى ما أراد،

---

[82] المسعودى: ج3، ص312.

[83] ابن طباطبا، ص161.

[84] الجهشيارى ، ص164

وخاف مراجعته، فسأل إعرابيا عن الجفلى والنقرى، فأفهمه أن الجفلى دعوة العموم والنقرى دعوة الخصوص، فأمر على بن صالح برفع الستور وفتح الأبواب، فدخل الناس ولم يزل ينظر فى المظالم إلى الليل[85].

وفى عصر الرشيد فوض إلى جعفر النظر فى قصص المتظلمين فكان جعفر يجلس للنظر فيها ثم تابع المأمون سياسة المهدى والهادى وكان يجلس للمظالم ويروى ابن طيفور أن المأمون قعد يوما للمظالم "فقد سلم صاحب الحوائج بضعة عشر رجلا فنظر فى مظالمهم، وأمر فقضى حوائجهم، وكان فيهم نصرانى من كشكر كان قد صاح بالمأمون غير مرة وقعد له فى طريقه فلما بصر به المأمون أثبته معرفة فقال: ابطحوه فضربه عشرين درة، ثم قال لسلم: قل له تعود تصيح بى؟ فقال له سلم وهو مبطوح، فقال النصرانى : قل له أعود وأعود وأعود حتى تنظر فى حاجتى. فأبلغه سلم ما قال، فقال: هذا مظلوم موطن نفسه على القتل أو قضاء حاجته، ثم قال لأبى عباد: أقض حاجة هذا الرجل كأننا ما كانت الساعة. ولم يكن المأمون يكتفى بالنظر فى المظالم فى المجلس وإنما كان ينصف المتظلمين الذين يعترضون موكبه، والأمثلة عديدة فى كتب التاريخ والأدب، منها أنه اعترضه –وهو ركب

---

[85] الإربلى ، ص104.

بالشماسية ببغداد وخلفه أحمد بن هشام- رجل من أهل فارس وصاح به: "الله الله يا أمير المؤمنين، فإن أحمد بن هشام ظلمنى واعتدى على" فقال له المأمون" كن بالباب حتى أرجع، فلما جاز الموضع التفت المأمون إلى أحمد وعنفه ثم أمره بأن ينصفه من نفسه، وقال له: "لا تجعل لنا ذريعة إلى ما تكره من ائتمنك فوالله لو ظلمت العباس ابنى كنت أقل نكيراً عليك من أن تظلم ضعيفا لا يجدنى فى كل وقت، ولا مجلوا له وجهى وسيما من تجشم السفر البعيد وكابد حر الهواجر وطول المسافة"[86].

وكان صاحب المظالم ينظر فى القضايا التى يقيمها الأفراد على الولاة إذا ثبت اشتطاطهم فى جمع الضرائب أو الجزية أو منع بناء كنائس أو من سوء معاملة الموظفين للأهالى، كما ينظر فى ظلامات من نقصت أرزاقهم وكان المتظلم يقدم تظلمه كتابة عن طريق رقعة أو قصة يقال لها مخاصمة أو شكوى أو ظلامه، فتعرض هذه الظلامة على مجلس المظالم.

- المحتسب:

ليست هذه الوظيفة فى الواقع منصباً قضائيا، وإنما هى منصب دينى أخلاقى أساسه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ملحق بالقضاء لأن فيه

---

[86] ابن طيفور ، ص56.

حكما، ثم تعدت الحسبة هذا المعنى الدينى إلى أمور مادية تتفق مع مصالح المسلمين، فأصبحت الحسبة أشبه بخدمة اجتماعية اقتصادية لسكان المدن كمحافظة على نظافة الطرق ومراقبة الأسواق، والكشف عن صحة الموازين والمكاييل والرأفة بالحيوان، ومنع معلمى الصبيان من ضرب الأطفال ضربا شديداً، ومنع الناس من شرب الخمور. ولكن العمل الأساسى للمحتسب لم يلبث أن تطور بعد أن تطورت الحسبة فى المدن فأصبح اقتصاديا يقوم على منع الغش فى الصناعة والمعاملات، وخاصة الإشراف على صحة الموازين والمكاييل وكان المحتسب يسير بنفسه فى الأسواق ومعه أعوانه من الخبراء فى شئون الأسواق يعرفون بالعرفاء يحملون الموازين والمكاييل الصحيحة فيدس المحتسب أحد أعوانه على البائعين ويختبر وزن السلعة أو كيلها.

وكانت للمحتسبة سلطة تنفيذية مفوضة إلى رأيه وهو ما يعرف بالتعزير (الزجر) الذى يعنى نوعا من العقاب لم يقرره القرآن، ولكن اتفق عليه فى البلاد التابعة للخلافة العباسية وكان يستعين فى تنفيذ العقوبة بالأعوان والعقاب أنواع منها الردع على شىء محرم والتوبيخ بالقول أو الضرب بالسياط أو الدرة، والنفى من البلد أو التشهير والتجريس.

وكثيرا ما كان القضاء والحسبة يسندان معا إلى رجل وأحد رغم ما بين العملين من الاختلاف فعمل القاضى مبنى على التحقيق والأناة فى الحكم، وعمل المحتسب قوامه الشدة والسرعة فى العمل.

- الشرطة:

هم جماعة من الجند كان يعتمد عليهم الخليفة أو الوالى فى حفظ النظام والقبض على المجرمين ويقترن عملهم بنظام الحراسة والعسس فى الليل وكانت فى الأصل ملحقة بالقضاء لأنها تقوم على تنفيذ الأحكام القضائية وصاحبها يتولى إقامة الحدود. وكان أصل وضعها فى الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم فى حال استبدائها أولاً، ثم الحدود بعد استيفائها فإن التهم التى تعرض فى الجرائم لا نظر للشرع إلا فى استيفاء حدودها وللسياسة النظر فى استيفاء موجباتها بإقرار يكرهه عليه الحاكم إذا احتفت به القرائن، لما توجبه المصلحة العامة فى ذلك . فكان الذى يقوم بهذا الاستبداء وباستيفاء الحدود بعده إذا تنزه عنه القاضى يسمى صاحب الشرطة وربما جعلوا إليه النظر فى الحدود والدماء بإطلاق وأفردها من نظر القاضى، ونزهوا هذه المرتبة، وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليهم"[87].

---

[87] حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسى ، ج2، ص295.

وكان صاحب الشرطة يختار عادة من أهل العصبية والقوة لأن عليه تقع مسئولية المحافظة على الأمن فى البلاد ومطاردة المجرمين وأهل الفساد، وكان يسمى عند العامة بصاحب الليل إذ كانت خطته تعنى الطواف بالليل وكان من مهامه بث العسس فى الأزقة والشوارع للقبض على اللصوص والشطار، وهم طائفة من عامة الناس اشتهروا بالسرقات وكانوا يستدرجون ضحاياهم ويسلبونهم ما معهم بحيل لا يفطنون إليها مع التظاهر بالبراءة[88]، ونشطت حركتها فى أعقاب الفتنة بين الأمين والمأمون.

ومن الشخصيات البارزة التى تولت الشرطة القائد الكبير طاهر بن الحسين ولاه المأمون الشرطة فى سنة 205[89]، وذكروا أنه نما إليه بعد توليه الشرطة أن فى الحبس رجلا تنصر، فأمر حاجبة يحيى البوشنجى بأن يحمل السيف والنطع ويأتى به دار المأمون إلى مجلسه ثم استدعى الرجل وقال له : "يا عدو الله تنصرت بعد الإسلام؟ قال أصلح الله الأمير، والله ما تنصرت وما أنا إلا مسلم، ولكن حبست فى كساء بدرهمين سنتين فلما رأيت أمرى طال، وليس لى مذكر يذكرنى قلت أنى مصرانى، وأنت أيها الأمير مصرانى، وهذا وهذا مصرانى وأنا رجل من أصحابك أيها الأمير، فكبر طاهر،

---

[88] التنوخى: الفرج بعد الشدة، ج2، القاهرة 1955، ص33.

[89] ابن طيفور ، ص13.

ودخل على المأمون فأخبره الخبر وأمر أن يوهب له ثلثمائة درهم وأن يخلى سبيله فأمر طاهر بذلك".

ويعتبر الرشيد من أكثر خلفاء بنى العباس حرصا على توفير الأمن فى البلاد، فقد دس شبكة من العيون بإمرة صاحب الشرطة حتى يمنع الاضطراب الذى يحدث من كثرة الوافدين إليها، وأقام الحراس بالليل للمحافظة على الدروب.

وكان صاحب الشرطة يعاقب المفسدين إما بالحد والزجر وهى عقوبة من يشرب الخمر ويعمل المنكر، أو يقطع اليد من مفصل المرفق للسارق لأول مرة أو الرجم بالحجارة أو الجلد بالسياط أو السجن فى المطبق وهو الحبس.

اسطرلاب محفوظ فى المتحف الوطنى دمشق وهو مؤرخ من سنة 982 هـ

الفصـل الخامس
الحياة الاجتماعية
في العصر العباسي

*** طوائف السكان:**

- **المرأة .**
- **الطعام والشراب .**
- **الألعاب .**
- **الأعياد والمواسم والمواكب .**
- **مجالس الغناء والموسيقي في بغداد .**

*** التنظمات العمرانية :**

- **مدينة بغداد .**
- **مدينة سامراء .**

الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى

*** طوائف السكان:**

كان يقيم بين المسلمين ببلاد الدولة العباسية عدد كبير من أهل الذمة، وقد أوجدت الحاجة إلي المعيشة المشتركة وما ينبغي أن يكون فيها من وفاق بين المسلمين واليهود والنصاري، نوعاً من التسامح. ومما يدل علي تسامح[90] الخلفاء العباسيين الديني مع غير المسلمين، أن الحكومة الإسلامية لم تتدخل في شعائر الحكومة الدينية لأهل الذمة وكانت الأديرة منتشرة في كل أجزاء بغداد، يقيم فيها النصاري واليهود حيث يمارسون شعائرهم في أمن وطمأنينة. بل أكثر من ذلك أن بعض الخلفاء العباسيين كانوا يحضرون مواكب أهل الذمة واشتركوا في إحياء أعيادهم ومواسمهم، ولم يكن يوجد في المدن الإ سلامية أحياء رسمية مخصصة للنصاري أو اليهود بحيث لا يتعدونها وإن آثر أهل كل دين أن يعيشوا متقاربين، وقد ألزمهم بعض الخلفاء أتخاذ ملابس خاصة يعرفون بها، كما منهم ألبعض الآخر من تعلية بيوتهم علي أبنية المسلمين، ولم ينصهر المسلمون مع غير المسلمين، ولم يكن يجوز للمسيحي أن يهود ولا لليهودي أن يتنصر، واقتصر

([90]) التاريخ الإسلامي العام: عيد علي إبراهيم حسن، ص 583– 597.

الدين علي الدخول في الإسلام، ولم يكن النصراني يرث اليهودي، ولا اليهودي يرث النصراني، كما لم يكن اليهودي أو النصراني يرث المسلم، ولا المسلم يرث غير المسلم يهودياً أو نصرانياً وقد أصدر الخليفة المقتدر(كتاباً في المواريث أمر فيه بأن ترد تركة من مات من أهل الذمة ولم يخلف وارثاً، إلي أهل ملته، علي حين أن تركة المسلم ترد إلي بيت المال).

واعتمد الخلفاء العباسيون علي الفرس دون العرب، مما كان من عوامل نقمتهم علي العباسين وثورتهم عليهم. ولما ولي المعتصم الخلافة، ظهر العنصر التركي الذي استأثر بالنفوذ دون الفرس والعرب، علي أن بعض الخلفاء العباسيين في العصر الثاني، أدركوا خطر الأتراك فاستعانوا بالمغاربة والراعنة، وغيرهم من الجنود المرتزقة كالأكراد والقرامطة. ولما انتقلت السلطة في بغداد إلي بني بويه قامت المنافسة بين الأتراك والديلم الذين كان البويهيون ينتسبون إليهم، وأصبح الديلم خطراً يهدد كيان الدولة العباسية، وانقسم المسلمون في هذا العصر إلي شيع وطوائف. فهناك السنيون وكانوا يكونون الغالبية العظمي من السكان ويتمتعون بقسط وافر من الحرية في عهد نفوذ الأتراك وعهد إمارة الأمراء، وهناك الشيعيون وقد قاسوا كثيراً من

المحن في هذا العهد حتي استولي بنو بويه علي العراق فتمتعوا بالطمأنينة في ظلهم، ومن ثم قامت المنازعات بين السنين والشيعين.

وكان اتخاذ الرقيق منتشراً في العصر العباسي. ومن أكبر أسواقه سمرقند، وكانت بيئة صالحة لتربية الرقيق المجلوب من بلاد ما وراء النهر؛ ولم ينظر الخلفاء العباسيون إلي الرقيق نظرة إمتهان وازدراء، بدليل أن كثيراً منهم كانت أمهاتهم من الرقيق، وقد أولع الخلفاء باتخاذ الإماء من غير العرب. لأنهن كن في الغالب أوفر جمالاً، وجرت العادة علي ألا يري الرجل من يريد التزوج بها رؤية تامة إذا كانت من الحرائر إلا في حدود ما يسمح به الشرع الإسلامي، بخلاف الأمة فقد كان يستطيع أن يراها ويعرف طباعها وأخلاقها بحكم مخالطتها قبل أن يقدم علي الإقتران بها، وكثيراً ما كان أبناء الجواري أحب إلي آبائهم من أبناء الحرائر، ولم يكن ثمة فرق في التوريث بين أبناء الحرائر والإماء، وكان كثير من الخلفاء العباسيين من أمهات أولاد: فكانت أم المأمون فارسية، وأم المعتصم تركية، وشجاع أم المتوكل خورازمية، وأم المقتدر رومية، وكذا كانت أم الخليفة المستكفي، وكانت أم المطيع صقلية.

- المرأة:

كـان للمـرأة فـي عهـد الدولـة العباسـية القـدح المعلـي فـي الميـادين الاجتماعية والسياسية، فقد كانـت امرأة مثإليـه، لـها وزنـها وقدرها فـي توجيـه المسـائل العامـة، ومـن أبـرز الشخصـيات النسـائية فـي بغـداد فـي العصـر العباسي: الخيزران، وزبيدة، والعباسة، وقبيحة، والسيدة.

تدخل نساء بغداد في شئون الدولـة العباسية، كـالخيزران، التـي كانـت كثيـراً مـا تسـأل ابنهـا الهـادي ليقضـي حاجـات المتـرددين علـي بيتهـا مـن المسلمين.

غيـر أن شـدة غيـرة الهـادي علـي النسـاء، حملتـه علـي أن يضـع حداً لتدخلها فـي أمـور دولتـه، فقال لـها مهدداً متوعداً حين سألته ذات مرة فـي مسألة لـم يجد إلـي قضائها سبيلاً : " لـئن بلغنـي انـه وقـف ببابـك أحد مـن قوادي أو خاصتي أو من خدمي، لأضربن عنقـه ولأقبضن مالـه". ولمـا أحس الهادي بدنو أجله بعث يطلب أمه الخيزران، فحضرت إليـه وخاطبها بقولـه: " أنـا هالـك فـي هذه الليلـة، وفيها بلـي أخـي هارون، وقد كنـت أمرتك بأشياء، ونـهيتك عن أخري مما أوجبته سياسة الملك، لا موجبات الشرع من برك، ولـم أكن بك عاقباً بل كنت لك صائناً وبراً واصلاً.

وهذه السيدة زبيدة، زوجة الخليفة هارون وأم الأمين، تمتعت بقسط وافر من الحرية وتدخلت في شئون الدولة، حتي أن الأمين بن هارون الرشيد ولي الخلافة بتأثير أمه زبيدة، إذ عدل الرشيد عن عزمه في تولية ابنه المأمون من بعده باعتباره أكبر أولاده سناً وبايع الأمين.

ولعل من أبرز النساء اللاتي ظهرن في العصر العباسي وأوسعهن شهرة وأظهرهن شخصية، العباسة ابنة المهدي وأخت الرشيد، فقد قيل إن الرشيد كان يعمل بمشورة أخته، وكانت ذات ثقافة عإليه وذكاء نادر، حلوة الحديث لطيفة المعشر، وكانت تحضر دائماً مجلس الرشيد.

وتمثل بوران ابنة الوزير الحسن بن سهل وزوجة المأمون، حياة الترف والنعيم التي عاشها بعض نساء بغداد في العصر العباسين وكانت من أجمل نساء بغداد وأغزرهن علماً وأوفرهن أدباً، وبذل الحسن بن سهل في زفاف ابنته للمأمون كثيراً من أموال.

ومن نساء العصر العباسي الثاني: من كانت لهن السطوة علي أولادهن من الخلفاء، حتي كن يشرفن علي شئون الدولة ويشركن في تدبير أمور الحكم، وكان لهن أكبر الأثر في سير الحوادث في بغداد، ومن أبرزهن" قبيحة" أم الخليفة المعتز بن المتوكل، التي تسببت في قتل الخليفة المعزول (

المستعين بالله وكان قد أخرج إلي بلده واصل وذلك خوفاً علي حياة ولدها من أن تمتد إليه يد الأعداء إذا ظل المستعين علي قيد الحياة.

وقد ظهر تدخل النساء جلياً في شئون الدولة في عهد الخليفة المقتدر، يقول صاحب الفخري" واعلم أن دولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كثير، لصغر سنه واستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه، فكانت دولة تدور أمورها علي تدبير النساء والخدم وهو مشغول بلذاته" فقد أصبح الأمر والنهي بيد أمه "السيدة" وبلغ من عظم نفوذها أنها كانت إذا غضبت هي أو قهر مانتها علي وزير، أقيل من منصبه: كما حدث لعلي بن عيسي، فقد أمرت بالقبض عليه بسبب سوء استقبال حاجبه لقهرمانتها، وليس هذا كل ما كان للسيدة من نفوذ– بل أن سلطتها تعدت حدود ذلك فعينت قهرمانتها" ثومال" رئيسة للمظالم.

ولم تعطل مجالس النساء المثقفات إلا في عهد الخليفة المتوكل رغم أن نجم "فضل" الشاعر المشهور قد تألق في عهد هذا الخليفة.

الملابس.

تطور الزي في الدولة العباسية عما كان عليه الحال قبل قيامها، وذلك لظهور الأزياء الفارسية في الابلاط العباسي، وقد قرر أبوجعفر المنصور بأن

تلبس بصفة رسمية القبعات السوداء الطويلة المخروطة الشكل- ويطلق عليها اسم القلانس.*

وأدخل استعمال الملابس المحلاة بالذهب، وغدا خلعها علي الناس من حق الخليفة، يتبين ذلك من العملة التي ضربت في عهد الخليفة المتوكل، حيث تظهر صورته مرتدياً ملابس فارسية. ولما تولي المستعين الخلافة (248-252هـ) صغر القلانس، بعد أن كانت طوالاً، وأدخل لبس الأكمام الواسعة التي لم تكن تعرف من قبل، فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار، وكانت هذه الأكمام تقوم مقام الجيوب يحفظ فيها الإنسان كل ما يرغب في حفظه، فكان الكاتب يحفظ فيها الرقعة لعرضها، والقاضي يضع فيها الكراسة التي يقرأ منها الخطبة يوم الجمعة.

أما الملابس العادية للطبقة الراقية في العصر العباسي، فكانت تشتمل علي سروالة فضفاضة وقميص ويترة وقفطان وقباء وقلنسوة وتشتمل ملابس العامة علي إزار وقميص وسترة طويلة وحزام وينتعلون الأحذية والنعال.

وكان رجال الدولة يتميزون بملابسهم: فيلبس الكتاب الدراعات وهي ثياب مشوقة من الصدر، ويرتدي العلماء الطيالسة، أما القواد فيلبسون الأقبية الفارسية القصيرة وكان من المستحسن لبس الثياب البيضاء، وفي

القرن الرابع الهجري كانوا يرون أنه لا يجوز للرجال لبس الثياب ذات الألوان إلا في بيوتهم، علي حين أنهم أجازوا لبسها للنساء.

وقد اتخذت سيدات الطبقة الراقية غطاء للرأس منضداً بالجواهر محلي بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة، ويعزي ابتكار هذا الغطاء إلي "علية" أخت الرشيد، وكانت نساء الطبقة الوسطي يزين رءوسهن بحلية مسطحة من الذهب ويلفن حولها عصابة منضدة باللؤلؤ والزمرد. كذلك كن يلبسن الخلاخل في أرجلهن والأسأور في معصمهن وأزنادهن، ولم يكن يجهلن فن التجميل، ومن الجلي أنهن أخذته عن الفارسيات. ويغزي إلي السيدة زبيدة إتخاذ المناطق والنعال المرصعة بالجواهر، وكانت فوق ذلك تسرف في شراء ملابسها وتزيينها، فقد اتخذت ثوباً من الوشي الرفيع يزيد ثمنه علي خمسين ألف دينار.

- الطعام والشراب:

بلغ من تفنن العباسيين في الطهي وإسرافهم في الإنفاق عليه، أن بعضهم كان يشترى مقادير كبيرة من السمك لتقديم ألسنته علي المائدة، يأكلون من ألوان الطعام الشهية، فإن إبراهيم بن المهدي لما استضاف الرشيد في الرقة، قدم له لوناً من الطعام، فاستصغر القطع، وقال لم صغر طباخك

تقطيع السمك. فرد إبراهيم بقوله: يا أمير المؤمنين. هذه ألسنة السمك، وأخبره إبراهيم أنه كلفها أكثر من ألف درهم، فاستكثر الرشيد هذا المبلغ".

وبلغت نفقة المأمون في اليوم علي مطابخة مبلغاً كبيراً، واعتاد أهل بغداد جلب ألوان الطعام كالسمك والحبوب والجبن من فارس وعمان والهند، ولم يسمح الخلفاء العباسيون بتناول النبيذ علي موائدهم، علي الرغم من أنهم كانوا يشربونه أحياناً .

- الألعاب:

ذاعت في العصر العباسي عدة ألعاب، مثل لعب الشطرنج، والنرد، وسباق الخيل، والصيد، ومن بين الخلفاء الذين أقبلوا علي لعبة الشطرنج، الخليفة المأمون بعد قدومة من خراسان إلي بغداد والخليفة المعتضد الذي اشتهر في عهده نوع من الشطرنج يسمي الجوارحية أو اللعب بالجوارح لأن حواس الإنسان تعمل أثناء لعبها، وانتشرت بين الناس لعبة النرد وكان يلعب بثلاثين حجراً وفصين علي رقعة بها إثنا عشر وأربعة وعشرين منزلاً.

أما سباق الخيل، فكان يعد تسلية الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة في العصر العباسي، وقد أباح الخلفاء هذه الرياضة بشرط ألا تلعب طلباً

للمال، وكلف بعض الخلفاء بالصيد، فقد حرص الخليفة المهدي علي القيام برحلات صيد منظمة، وبين يديه فرسان من الحراس يتقلدون سيوفهم.

ومن الألعاب التي كان يتسلي بها أهل بغداد، اللعب بالخيال، فقد كان في بغداد رجل يعرف بابن المغازلي يقف علي الطريق ويقص علي الناس الأخيار والنوادر المضحكة، ويقلدهم علي اختلاف طوائفهم، وقد سمع الخليفة المعتضد بنوادره، فأمر بإحضاره بين يديه، ليقصها عليه، فأعجب بها وأجزل له العطاء.

- الأعياد والمواسم والمواكب:

احتفل خلفاء بغداد بعيدي الفطر والأضحي احتفالا باهراً، كما حرصوا منذ بداية القرن الرابع الهجري علي الاحتفال بمولد النبي صلي الله عليه وسلم، واحتفلوا بيوم النوروز وهو أول أيام السنة عند الفرس وأحد مواسمهم القديمة وكان المسلمون قد أبطلوا الاحتفال بهذا العيد في بلاد الفرس بعد الفتح الإسلامي، غير أنه عاد في الصدر الأول من أيام العباسيين، وكان الناس يتبادلون فيه الهدايا.

وكذلك الحال في عيد المهرجان، وهو أول أيام الشتاء، فكان الناس يتهادون فيهن وقد جرت العادة أن يخلع الخلفاء في هذا العيد ملابس الشتاء علي القواد، وكبار رجال الدولة، وكان اليوم الخامس من الهرجان من أعظم أيام الفرس ويسمونه "رام روز"، واهتم الفرس كذلك بعيد الرام، ويقع في اليوم الحادي والعشرين من المهرجان.

وبذلك احتفل العباسيون بأعياد الفرس وخاصة اليزوز والمهرجان والرام وأصبحت من أهم الأعياد الرسمية في الدولة العباسية.

وفي أيام الجمع والأعياد في العصر العباسي، وكان يسير في مقدمة موكب الخليفة: الناس علي اختلاف طبقاتهم حاملين الأعلام. ثم أمراء البيت

العباسي علي الخيول المطهمة، ثم الخليفة لابسا القباء الأسود وعليه قلنسوة طويلة مزينة بجوهرة ومتمنطقاً بمنطقة مرصعة بالجواهر ومتشحاً بعباءة سوداء، وبين يديه كبار رجال الدولة، ومن أعظم مواكب العباسيين، عدا موكب الخليفة، موكب الحج حيث يجتمع في بغداد الحجاج من مختلف الأمصار الإسلامية الشرقية.

- مجالس الغناء والموسيقي في بغداد:

بدأت الدولة العباسية علي يدي السفاح ثم أبي جعفر المنصور، والعهد عهد فتن وتنازع وتشيع وتخرب، فطبع المنصور نفسه علي اليقظة والسهر، ولا شك أن خليفة مثل هذا جبل علي الحرص وتنكب أسباب الشك، يجفوا الطرب ويصرف نفسه عن الاشتغال بالملاهي، حتي لا يجد أعداؤه المتربصون به سبيلا إلي اقتحام ملكه، وكان اتصافه بألبخل واشتهاره به، من الأسباب التي باعدت بينه وبين شعراء عصره حتي خرج الشعراء في أيامه من الحضرة إلي غير وجهة" وذكر صاحب العقد الفريد أن حاجب المنصور قال: "إن الشعراء ببابك وهم كثيرون، طالت أيامهم ونفذت نفقاتهم"، والغناء يقلب البذخ والترف، فلم يكن في عهد المنصور قبس من الأمل في الارتقاء، وكان المنصور ورعا يعبر آل الزبير بحبهم للغناء وقد سمع ذات يوم ضرب طنبور

في داره، فكسره علي صاحبه، ولم يسمح بالغناء إلا بعد إنشائه بغداد التي كانت فيما بعد موئل الفن وكعبة الغناء، بيد أنه يجدر ألا ننسي أن العرب في خلافة المنصور، عربوا كتاباً لبطليموس في الألحان الثمانية، كان له في الموسيقي إذ ذاك شأن كبير.

لم تعدم الدولة العباسية (فيما بعد) خلفاء من أمثال المنصور في إقبالهم علي الغناء وزهدهم في سماع الموسيقي، كما فعل المأمون بعد عودته من خراسان فقد وجد الفوضي ضاربة أطنابها، فأمر بمنع الغناء، ولكن ذلك كان إلي حين، وريثما صفا له الزمان واتسقت الأمور، ثم ما لبث أن أغرق في اللهو حتي صار يسمر عنده كل ليلة إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي، وكان يقول لهما: بكرا علي، قد اشتقنا إلي الصبوح وتشبه الخليفة المهتدي العباسي بعمر بن العزيز في ورعه وتقواه، فلما ولي الخلافة سنة 255هـ أمر بتحريم الطرب.

علي أنه فيما عدا هؤلاء، تري الخلفاء العباسيين قد أقبلوا علي الغناء، وشارك الخلفاء في ذلك الأمراء والعامة، وأخذ الخلفاء يغدقون الهبات والهدايا علي المغنين، وساعدهم علي ذلك، تلك الثروة التي حفلت بها بغداد وأكثر من ذلك أن كثيراً من الخلفاء العباسيين اشتغلوا بصناعة الألحان وبرزوا فيها

وذاعت لهم أنغام رائعة، ومن أشهرهم المهدي بن المنصور الذي كان قصره مجمع الموسيقين، ومنهم الواثق والمنتصر والمعتمد والمعتضد وكان أول من دونت صنعته في الغناء من أبناء الخلفاء: إبراهيم بن المهدي، وأخته عليه وأبو عيسي بن الرشيد، وعبدالله بن موسي الهادي، وعبدالله ابن محمد الأمين، وعيسي بن المتوكل، وعبدالله بن المعتز: وحفلت دور البرامكة بالجواري المغنيات، ويقال إنهم الذين كانوا يعلمونهن الغناء.

ولم تكن عناية بعض الخلفاء العباسيين في بغداد رجال الأدب والشعراء أقل من عنايتهم برجال الفن الجميل من المطربين والمغنين والموسيقي، فقد كان كل منهم معطاء للأموال، حتي كان يغدق علي هؤلاء جميعاً الهبات، مما حببه إليهم، واتصف الخلفاء بحب الفنون والإقبال علي تشجيعها والأخذ بناصر أصحابها.

وقد جرت عادة بعض الخلفاء العباسيين علي الظهور في مجالس الغناء مثل المهدي والهادي، ولكن السفاح والمنصور لم يظهرا في ولوعه بالغناء من محبتهم الغناء والطرب له. وفاق هارون الرشيد الخلفاء في ولوعه بالغناء والموسيقي وإجزاله العطاء للمغنين والموسيقيين، وهو أول من جعل المغنيين مراتب وطبقات، كان آخرها طبقة المضحكين وأهل الهزل

والفكاهات ولم يكن بينها رغم ذلك- علي حد قول الجاحظ- " خسيس الأصل ولا وضعه ولا ناقص الجوارح ولا فاحش القول ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دنيئة".

علي أنه إذا ظهر أحد المغنيين براعة في فنه، أمر الخليفة بترقية إلي الرتبة التي تعلو رتبته، فإن برصوما الزامر أعجب الرشيد، فأمره صاحب الستارة أن يؤمر علي عناء ابن جامع المغني المشهور، فرفض ذلك برصوم، وقال: إن كنت أزمر علي الطبقة العإليه رفعت إليها: فأما أن أكون في الطبقة الثانية وأزمر علي الأولي فلا أفعل، فقال الرشيد لصاحب الستارة أرفعه إلي الطبقة الأولي .

ولم يجتمع علي باب خليفة من المغنين والموسيقيين، ما اجتمع علي باب الرشيد. وممن نبغ منهم في "عهد المنصور زلزل" الذي اشتهر بحسن الضرب علي العود. حتي قيل إنه كان إذا جسه لم يملك أحد نفسه حتي يطرب، وذاعت شهرة المغني مسكين المدني الذي فاق في الغناء ابن جامع أشهر مغني عصره فقد غني بن جامع يوما في مجلس الرشيد فلم يطرب الخليفة؛ وإذذاك قال صاحب الستارة لمسكين: بأمر أمير المؤمنين إن كنت تحسن هذا الصوت أن تغني، فاندفع في الغناء وأعجب به الرشيد وطلب إليه

أن يعيد علي مسامعه غناه فأعاده بقوة ونشاط، فقال له الخليفة: أحسنت وأحملت.

وحظي إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق برضاء الخلفاء العباسيين،وكانا من رجال الأدب، ولكن الغناء قد غلب عليهما بما وضعاه من الألحان، وقد أبدع إبراهيم في تنسيقها، حتي توهم أن الأرواح هي التي تعلمه الصوت.

ولم يقتصر مجلس الغناء علي الخلفاء وحدهم بل جاراهم في ذلك المضمار الأمراء والوزراء وسائر رجالات الدولة وكان المغنون يلبسون " الثياب المطبوعة، وكانوا إذ جلسوا في تلك المجالس لبسوا الثياب الحمر والصفر والخضر، ثم جلسوا يشربون ودارت الكاسات"، ولم تخل تلك المجالس من النوادر والطرائف التي تملؤها بهجة وسروراً. وكما ارتفع شأن الغناء، ازدهرت الموسيقي؛ وكثيراً ما اشتركت الأميرات وسيدات الطبقة الراقية في بغداد في رحلات موسيقية خاصة.

وحفلت مجالس الغناء والمغنين، وأجزل لهم هارون العطاء مما جذبهم غليه. واشتهر من بينهم المغني زرياب، الذي أنجب حمدونة وعليه، فتعلمتا الغناء علي يدي أبيهما وأصبحتا من شهيرات المغنيات.

كـان زريـاب، والـد حمدونـة وعليـة، مـولي الخليفـة المهـدي العباسـي، فارسي الأصل وكان شاعراً مطبوعاً وأديباً ملماً بعلوم النجوم وأخـلاق الشـعوب وطبائعها وسير الملوك، حافظ لكثير من الحكم والأمثال. كما كان فصيحاً حلو الحديث حسن الصوت، تعلم الغناء علي إسحاق الموصلي وتفوق عليه دون أن يشعر بذلك وقد طلب هارون الرشيد من إسحاق أن يأتي له بمغن غريب قد حذق الغناء، وإن لم يكن قد اشتهر في هذا الفن، فذكر لـه تلميذه زريـاب، فلما كلمة الرشيد أعرب عن نفسه بأحسن منطق وأوجز خطاب، وسأله عن معرفته بالغناء،؟فقال: نعم! أحسن منه ما يحسنه النـاس، وأكثر مـا أحسنه لا يحسونه مما لا يحسن إلا عندك؛ فإن أذنت غنيتك مـا لـم تسمعه أذن قبلك؛ فأمره الرشيد بالغناء، فجلس ثم اندفع فغناه:

يـا أيهـا الملـك الميمـون * هارون راح إليك النـاس وابتكروا

طـــــــــــــــــائرة

فأتم النوبة، وطار الرشيد طرباً وأنب إسحاق علـي كتمانـه أمر زريـاب عنـه، فسـقط فـي يـد إسـحاق وخـلا بزريـاب وقـال: يـا علـي إن الحسـد أقـدم الأدواء وأدواهـا والـدنيا فتاكـة، والشـركة فـي الصـناعة عـدواة ولا حيـة فـي

حسمها، فتخير في اثنتين لابد لك منهما، أن تذهب عني في الأرض العريضة لا أسمع عنك خبراً، وأما تقيم علي كرهي ورغمي مستهدفاً إلي . فأختار زرياب الرحيل، ورحل أولاً إلي المغرب ومنها إلي الأندلس في خلافة عبدالرحمن الأوسط، الذي أحب زرياب حباً شديداً وقدمه علي جميع المغنين.

تلك هي حياة زرياب الولي، وقد ورثه أولاده في الغناء وكانوا ثمانية ذكور وبنتين هما عليه وحمدونة، وقد تعلموا جميعاً الغناء ومارسوا صناعة الغناء وأصبحت أسرته كلها تحترف هذا الفن. وتزوجت عليه بنت زرياب من الوزير هشام بن عبد العزيز، أما حمدونه فقد تفوقت في فن الغناء علي أختها عليه. وتقدمت في السن، حتي لم يبق من بيت زرياب علي قيد الحياة سواها؟ وأخذ عنها الغناء علي أصوله التي وضعها والدها.

ويرجع الفضل إلي زرياب في تعاليم الجواري الغناء فقد كانت له جوار أدبهن وعلمهن الغناء علي العود. ومن أشهرهن غزلان وهنيده اللتين كانتا تأخذان عودهما بمجرد أن يهب زرياب من نومه ويأخذ هو عوده، ثم يكتب الشعر ويعود إلي مضجعه. ومن بين هؤلاء الجواري، واشتهر هنيد بفرط جمالها وقد أعجب بها الخليفة عبدالرحمن الأوسط فأهداها زرياب إليه، وأصبحت من محظياته المقربات.

وكان لخلفاء العصر العباسي الثاني مجالس للطرب والغناء يحضرها الشعراء والأدباء والمغنون والمسيقيون والملهون، فقد جمع مجلس المتوكل أول خلفاء هذا العصر مرة بين الشعراء والأدباء والملهين، وفرح في ذلك اليوم فرحاً شديداً وسر سروراً لم ير مثله، وزاد في تكرمة الشعراء وأجزل لهم العطاء.

وكان الخليفة المعتمد مشغوفاً بالطرب والغناء والموسيقي، سأل عبدالله بن خرداذبة والد أبي القاسم عبيدالله الجغرافي المشهور صاحب كتاب " المسالك والممالك"، عن نشأة الموسيقي والغناء وما طرأ عليهما من تغيير. فأجاد في وصفها في البلاد الإسلامية منذ أقدم العصور، فسر المعتمد وقال له: قد قلت فأحسنت، ووصفت فأطنب. وأقمت في هذا اليوم سوقاً للغناء وعيداً لأنواع الملاهي، ثم سأله المعتمد عن أنواع الطرب فقال علي ثلاثة أوجه: طرب محرك ينعش النفس ودواعي الشيم (الكرم) عند السماع، وطرب شجن وحزن لاسيما إذا كان الشعر في وصف أيام الشباب والشوق إلي الأوطان والمرئي لمن عدم من الأحباب: وطرب يكون في صفاء النفس ولطافة الحس. وسأله المعتمد: فما منزلة الإيقاع وفنون النغم. قال إن منزلة الإيقاع من الغناء منزلة العروض من الشعر، " ويقول المسعودي: ففرح

المعتمد في هذا اليوم وخلع علي ابن خرداذبة وعلي من حضره من ندمائه، وفضله عليهم، وكان يوم لهو وسرور"،

وكان الخليفة العباسي في العصر الثاني يهتم بمجالس الطرب، فقد تملك الراضي الهم لاستبداد" بحكم" بأمور الدولة وسكة النفوذ باسمه ولكنه أزال عن نفسه الهم وتمثل بقول المأمون:

صل الندمان يوم المهرجان * بصاف من معتقة الدنان

بكأس خسرواني عتيق * فإن العيد عيد خسروان

وتعددت مجالس الغناء والطرب، من الخلفاء إلي الأمراء وكبار رجال الدولة، ويرجع انتشار الغناء إذ ذاك إلي كثرة الجواري، وكان معظم القيان اللاتي يحترفن الغناء في أوائل القرن الرابع الهجري من الجواري، وقليل منهن من الحرائر وفي سنة 421هـ أمر الخليفة القاهر بتحريم القيان والخمر وقبض علي المغنين وكسر آلات اللهو كما فعل الحنابلة في أوائل هذا القرن، وأمر ببيع المغنيات من الجواري، مع أن هذا الخليفة كان مولعاً بالشراب وسماع المغنيات.

*** التنظيمات العمرانية:**

- بناء مدينة بغداد:

بعد قيام الدولة العباسية، أخذ الخلفاء العباسيون يبحثون عن عاصمة جديدة يطمئنون إلى ولاء سكانها، فاختاروا مكاناً قرب الكوفة سموه هاشمية الكوفة، ثم انتقلوا إلى شمالى الأنبار، وبنوا بجوارها مدينة سموها هاشمية الأنبار.

إلا أن هذه المدن لم يرتح إليها العباسيون، ولهذا فكر الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور ببناء عاصمة جديدة، ووقع اختياره على منطقة تقع بين نهرى دجلة والفرات، عرفت فيما بعد بمدينة بغداد.

- التسمية:

هنالك عدة آراء حول أصل تسمية مدينة بغداد من بينها:

1-مدينة السلام، والسلام هو أحد أسماء الله الحسنة.

2-الزوراء، لا زوار أبوابها الخارجية عن الداخلية.

3-المدورة، نسبة لاستدارة تخطيطها.

4-مدينة المنصور نسبة لاسم مؤسسها وبانيها أبى جعفر المنصور،

وهنالك إشارات متعدده أخرى تشير إلى قدم تسمية مدينة بغداد ومنها:

1-رقيم طينى يعود إلى العصر الكشى يذكر اسم الموقع باسم بكدادى

2-إلى عصر حمورابى يذكر فيه اسم مدينة بصيف بكمدبادو.

3-ورد اسم بغداد فى صخرة حدود- علاقة لتثبيت الحدود- تعود لعهد الملك البابلى مردوخ.

- أسباب اختيار هذا الموقع:-

يعود السبب فى اختيار هذا الموقع لعدة أمور أهمها:-

1- أن البناء قرب نهر دجلة يمكن أن يمتد إلى ضفتى النهر، بعكس نهر الفرات، الى يمكن استغلال ضفته الشرقية فقط.

2- وقوعها فى منطقة زراعية، وفيرة المياه، لغرض توفير الغلال والمواد الغذائية بسهولة.

3- وقوعها فى وسط العراق، فقد ذكر المؤرخون أن أحد المقربين للمنصور قال له: "وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد، ومكة، وأنت قريب من البر والبحر والجبل".

4- تقع على طرق المواصلات بين الشرق والغرب، إذ يمر طريق الحرير بها، ويتجه غربا إلى سوريا، تجيئك الميرة فى السفن الفراتية والقوافل من

مصر والشام فى البادية، وتجيئك الآلات من الصين فى البحر ومن الروم والموصل فى دجلة".

5- تقع بين نهرى دجلة والفرات، وتمتاز بموقع استراتيجى" وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدو إلا على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر، واخربت القناطر، لم يصل إليك عدوك".

6- حسن مناخها وطيب جوها مقارنة مع الكوفة والأنبار.

وقد خطط المنصور مدينة بغداد على شكل دائرى، حيث يبعد المركز بابعاد متساوية عن جميع نقاط السور، واستغرق بناء المدينة أربعة أعوام (145-149هـ) وقد احضر لها المنصور المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والمساحة والفعلة والصناع من الشام والموصل والبصرة والكوفة، واراد المنصور أن يشاهد تخطيط المدينة فخططت، ووضعت عليها كرات القطن المغمور بالنفط، واشعلت فيها النار فتبين له تخطيطها.

وإذا لاحظنا تخطيط المدينة نشاهد ما يأتى:

1- خندقاً خارجياً يجرى فيه الماء عرضه ستة أمتار.

2- سورا خارجياً من الطوب.

3- فراغاً كبيرا عرضه 31 متر للزراعة، ويعرف بالفصيل الأول.

4- سوراً آخر داخليا أقوى وامتن من السور الأول بالسمك والارتفاع والأبراج ارتفاع 90 قدم، وعرض قاعدته 105 قدم، أما عرض القمة فيبلغ 37 قدم

5- فراغ ثان فيه السجن ومساكن الحاشية والقواد (يعرف بالفصيل الثانى)

6- سوراً ثالثاً يحيط بالميدان.

7- الميدان

وفى الميدان بنى المنصور قصره المسمى بقصر الذهب، وبنى فوقه القبة الخضراء، وبجوار القصر بنى الخليفة المسجد الجامع وأقام على جانبى الميدان قصور الأمراء ودواوين الحكومة المختلفة مثل بيت المال، وديوان الرسائل، ديوان الخراج، ديوان الجند، خزائن السلاح.

وكان فى كل سور من أسوار المدينة الثلاثة أربعة أبواب حديدية مزدوجة كل باب عبارة عن بابين باب خارجى وباب داخلى، وبينهما دهليز ورحبة، والأبواب الخارجية مزورة عن الأبواب الداخلية، وعدد هذه الأبواب هى:-

1-باب الشام يقع فى الشمال الغربى.

2-باب البصرة يقع فى الجنوب الشرقى.

3-باب خراسان يقع فى الشمال الشرقى.

4-باب الكوفة يقع فى الجنوب الغربى

وقد جلب أبو جعفر المنصور أبواب الحديد من واسط والشام والكوفة ليقيمها فى بغداد، وأقيمت الأسواق فى بداية الأمر على الطرق الرئيسية فى مدينة بغداد.

ثم أخرج المنصور الأسواق وأصحاب المهن إلى خارج مدينة بغداد لأسباب أمنية، إلى منطقة الكرخ، وبنى لهم مسجداً جامعاً وقسم السوق فى الكرخ حسب المهن والصناعات "فكل أهل تجارة منفردون بتجارتهم، وكل أهل مهنة معتزلون عن طبقتهم".

ثم أتخذ أبو جعفر المنصور معسكراً للجيش العباسى فى رصافة بغداد لتكون مقراً لابنه المهدى، وربطها ببغداد، عبر ثلاثة جسور عقدت على نهر دجلة، وخصوصاً بعدما شغب الجند على الخليفة فى بغداد.

*** بناء سامراء**

لقد تم استخدام الجند التركى، منذ بداية الدولة العباسية ولكن بمجئ المعتصم ازداد استخدامهم بالجيش، ويبدو أن المعتصم (218-227هـ/833-841م) قد خاف من الأبناء (أبناء أهل خراسان، ويسمون أيضاً أبناء أهل الدعوة، ويسمون أيضاً بأنصار الدولة أو الشيعة العباسية). الذين قدر

عددهم بـ 50.000 مقاتل ما بين فارس وراجل، وهؤلاء قد لعبوا دوراً فى النزاع بين الأمين والمأمون، ونتيجة لمجئ هؤلاء الترك وتسجيلهم فى الديوان، حدث التصادم والصراع بين هاتين الكتلتين.

وقد عبر المعتصم عن مخاوفه من هذا التصادم فأشار ابن الأثير إلى هذا فقال: "وفى هذه السنة 220هـ/835م خرج المعتصم إلى سامراء لبنائها، وكان سبب ذلك أنه قال: "إنى اتخوف هؤلاء الحربية، أن يصيحوا صيحة فيقتلوا غلمانى، فأريد أن أكون فوقهم، فإن رابنى منهم شئ اتيتهم فى البر والماء حتى آتى عليهم".

وقيل كان سبب ذلك أن المعتصم، كان قد أكثر من الغلمان الأتراك، فكانوا لا يزالون يرون الواحد بعد الواحد قتيلاً، ذلك أنهم كانوا جفاة يركبون الدواب فيركضونها إلى الشوارع، فيصدمون الرجل والمرأة والصبى، فيأخذهم الأبناء عن دوابهم، ويضربونهم وربما هلك أحدهم فتأذى بهم الناس، ثم أن المعتصم ركب يوم عيد "فقام إليه شيخ، فقال له : "يا أبا اسحاق، فاراد الجند ضربه فمنعهم وقال: يا شيخ مالك مالك؟ قال: لا جزاك الله عن الجوار خيراً، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الأتراك فأسكنتهم بيننا، فايتمت

صبياننا، وارملت بهم نسواننا، وقتلت رجالنا، والمعتصم يسمع ذلك، فدخل منزله، ولم ير راكباً إلى مثل ذلك اليوم.

ويقول يا قوت الحموى: "أن أهل بغداد قد حذروا المعتصم من مغبة بقائه فى بغداد وقال له: "أما أن تخرج من بغداد، فإن الناس قد تأذوا بعسكرك، أو نحاربك".

وتبعد سامراء عن بغداد بأكثر من 100 كم إلى الشمال منها، وبنى فيها المعتصم القصور والمنازل، ومن آثارها الشاخصة اليوم مئذنة جامعها الكبير التى تعرف اليوم بالملوية، وكذلك جدران المسجد الجامع.

وقد تم تخطيط مسجدها الجامع والقصر والمعسكر والسوق سنة 221هـ وبقيت عاصمة للعباسيين إلى سنة 289هـ. حيث انتقل منها المعتضد، وعاد إلى بغداد، وقد سميت المدينة بأسماء عديدة منها العسكر، أو سر من رأى، ولما خربت قيل لها ساء من رأى، والهدف من بنائها هو عسكرى بحت.

أثر الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوربية

الحضارة الإسلامية كان لها أثر بالغ فى الحضارة الأوربية، ففي الوقت الذي كانت فيه أوربا لا تزال تضطرب فى ظلام العصور الوسطى، كان المسلمون قد بسطوا نفوذهم على معظم بقاع العالم المتحضر القديم، من حدود الصين إلى جبال البرانس، وورثوا مع فتوحاتهم فلسفة اليونان من كتبها، حتى أن عددا من كتب اليونان القديمة لا يوجد الآن إلا باللغة العربية أو مترجم عن العربية، كما تأثروا وأفادوا من ثقافة الفرس التى أثرت فى الأدب العربي، وبالثقافة الهندية عن طريق علوم الرياضة، والطب وخاصة علم النجوم، وقد أفسح العرب والمسلمين صدورهم لهذه الثقافات والحضارات المختلفة واقبلوا، وتولوها بالرعاية والعناية والبحث والدرس والتصحيح والتهذيب، وأضافوا إليها الكثير من أفكارهم وابتكاراتهم حتى بلغت غاية نضجها واكتمالها، وتميزت عما عادلها من الحضارات السابقة 0 [1]

والحضارة العربية الإسلامية لا ينقصها ولا يقلل من شأنها أنها نقلت وأفادت من الحضارات التى سبقتها، فذلك شئ طبيعي، حيث أن كل أمه ملزمة بأن تنقل عمن سبقها تجاربهم، وكل أمه تختلف عن غيرها فى أنها تحدث أولا تحدث الجديد المبتكر، وإذا نظرنا إلى الجديد المبتكر فى الحضارة الإسلامية لوجدنا الكثير 0 [2]

ولولا الإفادة من الحضارات السابقة والتجديد والابتكار لكان لزاما أن تبدأ كل أمة بما بدأت به الأمم الأخرى السابقة عليها ولا غلق باب التقدم والتطور الحضاري، ولوجدنا أنفسنا اليوم في مستوى أقرب إلى ما كان عليه الإنسان الأول في العصر الحجري ولكن يكفى العرب والمسلمون فخرا أنهم لم يقنعوا بما تعلموا من غيرهم وإنما يحثوا واجتهدوا وابتكروا، وأضافوا عناصر جديدة دفعت عجلة التطور الحضارة إلى الأمام[3]، وأنشأ العرب بسرعة حضارة جديدة كثيرة الاختلافات عن الحضارات التى ظهرت فيها وتمكنوا من حمل أمم كثيرة على انتحال دينهم ولغتهم وحضاراتهم الجديدة 0

وقد عبرت هذه الحضارة إلى أوربا من خلال معابر ثلاثة هي 0

1- عن طريق اتصال العرب والمسلمين ومجاورتهم لعلماء أوربا أبان حكم الأمويين فى الأندلس، حيث كانت الحضارة العربية والإسلامية فى أوج عظمتها مما كان يتمتع به علماء المسلمين من حرية الفكر وأقاموا هناك جامعات زاهرة قصدها طلاب العلم من أوربا، فى مراكز متعددة[4] مثل قرطبة، واشبيلية، وغرناطة، وطليطلة، ونشر هؤلاء الطلاب فى بلادهم ما تعلموه من العرب، حيث كان غالبة سكان الأندلس، وهم من المسيحيين قد تشبعوا بالحضارة العربية بحيث أنهم هجروا لغتهم ليتكلموا العربية، واضطر الأسافعه من رجال الدين إلى أن يترجموا الإنجيل إلى العربية، كذلك قام اليهود وهم أقليه كبيرة استعربت

منذ زمن مبكر فأخذوا لغة العرب وملابسهم، واندرجوا فى غمارهم، بدور هام فى نقل الحضارة الإسلامية عن طريق الترجمة[5]، ولما استرد الملوك الأسبان الأندلس استولوا على الكنوز العلمية التى خلفها علماء العرب والمسلمين وأخذوا بمظاهره [6]

2- عن طريق صقلية، حيث كان العرب قد فتحوا صقلية على يد دولة الأغالبة خلال العصر العباسي الأول وذلك فى النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وظل العرب بها زهاء 130 سنة، فأصبحت المركز الثاني لنشر الثقافة العربية والإسلامية فى أوربا، حيث أصبحت بالرمو ومسينى، وسرقوسه، وبوره من أهم مراكز الحضارة الإسلامية اليانعة فى إيطاليا 0 [7]

كان الملوك المسيحيون بصقلية يشجعون علماء العرب على الإنتاج العلمي، مثل روجر الثاني الذي شجع الإدريسى الجغرافي الشهير على العلم وأهدى الإدريسله كتاب نزهة المشتاق، وأيضا الملك ويليام الذى رحب بالعلماء المسلمين وكان يقرأ ويكتب العربية 0 [8]

أدرك روجر وخلفاؤه أفضلية العرب فانتحلوا نظمهم وشمولهم برعايتهم وكان الملك فردريك الثاني من الذين شجعوا الترجمة لعلوم الإسلام إلى اللاتينية واليونانية أو حتى الإيطالية الدارجة التى كانت قد بدأت فى الظهور، وكان فى بلاطه كثير من الفلاسفة العرب من الشام وبغداد، وتوثقت صلاته وصداقته بالسلاطين الأيوبية فى مصر " الملك الكامل وتبادل معهم الهدايا " 0 [9]

ولما كان الملوك النورمانديون وخلفائهم على العرش الصقلي يحكمون إلى جانب صقلية جنوب إيطاليا أيضا فانهم كانوا بمثابة الجسر الذى نقلت عليه مختلف عناصر الثقافة العربية الإسلامية إلى شبه الجزيرة الإيطالية ووسط أوربا ولم يكد ينتصف القرن العاشر الميلادي حتى كانت آثار الحضارة العربية واضحة للعيان شمال جبال الألب 0 [10]

مكث العرب في جنوب إيطاليا ثلاثمائة سنة تقريبا، فاستعرب أهل المناطق وأصبحوا يتكلمون العربية ويدينون بعادات العرب ما عدا العقيدة، فقد احتفظ بها بعضهم ودفعوا الجزية، وكان من نتائج هذا أن تسمى الكثيرون بأسماء عربية، وأصبحت الأماكن والشوارع والقصور وأدوات الزينة والحرب ومتاع البيوت وغيرها لها أسماء عربية ومظاهر عربية 0 [11]

3- طريق ثالث من خلاله انتقلت الحضارة العربية والإسلامية لأوربا هو الحروب الصليبية، والحج إلى بيت المقدس واختلاط الأوربيين بالعرب، حيث كان لبقاء الصليبيين مدة طويلة فى الشرق الإسلامي منذ القرن الخامس الهجري حتى القرن السابع الهجري أثره على اتصال تام بجميع مظاهر الحضارة الإسلامية المزدهرة التى أدهشتهم وعلى الرغم من أن الحروب كانت مستمرة بينهما وبين المسلمين، فإن البعض منهم نقل الكثير من علوم

العرب والمسلمين ومعارفهم وفنونهم وصناعتهم، كما حصلوا على كثير من الكتب العربية، فساعد ذلك على ظهور روح البحث ودراسة علوم الأقدمين وآدابهم 0

4- طريق التجارة فعن طريق التبادل التجاري بين الشرق والغرب عن طريق مصر، حيث أن المدن الإيطالية مثل جنوه والبندقية وبيزا ونابلى، نشطت تجارتها مع مصر وهى المدن التى ظهرت فيها النهضة الأوربية الحديثة 0 [12]

مظاهر أثر الحضارة العربية الإسلامية على حضارة أوربا0

من خلال دراستنا للحياة الثقافية وجدنا أن العرب حققوا تفوقا كبيرا فى ميادين العلوم على اختلافها، وتبين فضلهم وأثرهم فى هذه الميادين، ومدى ما قدموه للعلم وللحضارة من معارف وابتكارات لم يسبقهم إليها أحد 0

كما اتضح لنا كيف وصلت الحضارة عن طريق أسبانيا وصقلية وإيطاليا، ونتيجة للعلاقات التجارية، وأيضا دخول الفرنجة بلاد الشام ومصر وبقى لنا أن نعرف ما كان للحضارة العربية والإسلامية من أثر واضح فى الحضارة الأوربية ونوضح ذلك فى إيجاز 0

- أنه خلال الفترة الذهبية فى تاريخ الإسلام أنشئت المدارس فى مختلف البلاد الإسلامية شرقا وغربا، وكثرت المكتبات وامتلأت بالمؤلفات العربية الإسلامية، وكذلك المؤلفات اليونانية والفارسية والهندية المترجمة وقد جزيت هذه المدارس والمكتبات الباحثين عن المعرفة من العالم المسيحي والإسلامي على السواء، فقد أصبحت طليطلة بعد أن استولى عليها ألفونسو السادس سنة 1085م مركزا لانتشار الثقافة العربية إلى باقي نواحي أسبانيا وأوربا، ويرجع الفضل فى إدخال النصوص العربية فى دوائر الدراسة الغربية إلى " دايموندو " أسقف طليطلة وكبير مستشاري ملوك قشتاله، وكان لعمله هذا أكبر الأثر فى مصير أوربا 0 [13]

تولى الأسقف رعاية جماعة من المترجمين حيث أنشأ ديوانا لترجمة التراث وفى عهد ألفونسو الحليم (1252-1284م) كانت طليطلة مركز النور والعلم وانتقلت إلى أوربا خلال هذه الحركة مؤلفات الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالى والخوارزمي صاحب الجداول الرياضية، وكان أشهر المترجمين من العربية "جيرار الكريمونى" حيث يذكر أنه ترجم أكثر من سبعة وثمانين كتابا فى مختلف العلوم 0 [14]

وعندما ذاعت هذه الترجمات للكتب العربية هرع الكثير من الأوربيين المتعطشين إلى مناهل العلوم الإغريقية والعربية قاصدين مدرسة طليطلة حيث يترجم لهم أحد المستقرين ما جاء فى الكتب العربية إلى الأسبانية الدارجة أو اللاتينية الركيكة 0 [15]

ظلت ترجمات كتب العرب ولا سيما الكتب العلمية مصدرا وحيدا تقريبا للتدريس فى جامعات أوربا خمس قرون، وظل تأثير العرب فى بعض العلوم التى تدرس فى أوربا حتى وقت

قريب ففي مجال الطب نجد مثلا أن كتاب " الحاوي " للرازى المؤلف من عشرين مجلدا، يجمع كل المعلومات الطبية التى كانت معروفة فى زمانه، وظل المرجع الوحيد المعترف به فى جامعات أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادي 0 [16]

وفى علم البصريات حقق المسلمون أعظم تقدم علمي، ورسالة الكندي في العلم هي التي اعتمد عليها روجر بتكون فى دراسته لهذا الموضوع، واستفاد روجر وفيتلبون من بصريات الحسن بن الهيثم، كما أخذ ليوناردوا اليزى عن العرب علم الجبر، وأخذ أرنالدو فيلانوفا الطب والكيمياء، كما نهل أعلام الطب الأوربي من كتب العرب وخاصة الزهراوى، كما استوحى " كلير " كشفة لأفلاك الكواكب الدائرية من كتاب العالم المسلم " البطروحى" 0 [17]

وفى الرياضة يرجع الفضل للعرب في الطرق الحسابية المستعملة في الحياة اليومية في عصرنا الحاضر، وهم الذين جعلوا من الجبر علما حقيقيا، وتقدموا به تقدما كبيرا، حتى اعتبروا أنهم هم الذين وصفوه، كما أسسوا علم الهندسة التحليلية وحساب المثلثات الذي لم يكن معروفا عند اليونانيين، وفى علم طبقات الأرض يعتبر ما كتبه الرئيس ابن سينا في كيفية تكوين الجبال والأحجار والمواد المعدنية وما إلى ذلك من أهم المراجع التي اعتمدت عليها أوربا في أبان نهضتها المدنية 0 [18]

- تركت الحضارة العربية والإسلامية فى اللغات الأوربية ألفاظا تدل على مقدار ما أفادته الحضارة المدنية من تراث تنطق بصيغتها العربية والإسلامية مثل أن معظم أسماء النجوم فى اللغات الأوربية لا تزال تنطق بصيغتها العربية، ومنها العقرب والجدي والطائر والذئب والقرفد، ولا تزال المصطلحات الفلكية والرياضية حافظة لصيغتها العربية فى اللغات الأوربية ومنها السمت والنظير والجيب والجبرؤ والكيمياء والصفر، وغيرها من الألفاظ العربية الأخرى 0 [19]

والغرب مدين للعرب أيضا بإدخال الكثير من الإصلاحات والآلات الموسيقية، وقد تفوق المسلمون كثيرا فى الفن، والنقش واشغال الذهب والفضة والآنية، وعنهم أخذت أوربا 0 [20]

كما تأثرت الفنون المعمارية الأوربية بعناصر الفن الإسلامي، حيث اقتبست أوربا الفن المعروف بالأرابيسك Arabesque ، وهو فن معماري عربي يميل إلى التكوينات الهندسية، بل نجد مباني كثيرة في أوربا في العصور الوسطى، مثل الجامعات القديمة في إنجلترا متأثرة بالفن العربي 0 [21]

وفى التجارة كان المسلمون رواد العالم الحديث، فقد انشئوا النقابات وعرفوا نظام طريق الشرق، مثل الكافور، والزعفران، والمر، والمسك والقطن، والأرز، والخرشوف، والحنة، والليمون، وقصب السكر، والموز، والقهوة، وطواحين الهواء، والسواقي 0 [22]

ومن أبرز المفكرين الذين تحدثوا عن أثر الحضارة الإسلامية في حضارة أوربا (جوستاف لوبون) الذي وضع كتابا قيما بعنوان (حضارة العرب) انصف فيه المسلمين وسلط الأضواء على الأسس العربية للحضارة الأوربية الحديثة ومن أراءه في هذا الصدد قوله : كان تأثير العرب على الغرب عظيما وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوربا، ولم يكن نفوذهم في الغرب أقل مما كان في الشرق، ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذي أثره العرب في الغرب إلا إذ تصور حالة أوربا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة الإسلامية، وإذا رجعنا إلى القرنين التاسع والعشر الميلادي، في الفترة التي كانت فيها الحضارة العربية في أسبانيا زاهرة باهرة، نرى أن المراكز العلمية الوحيدة في الغرب عبارة عن مجموعة أبراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بأنهم أميون 0

ويرى لوبون أيضا أن الحضارة العربية لم تدخل إلى أوربا نتيجة الحروب الصليبية كما هو الرأي الشائع، بل دخلت بواسطة الأندلس وصقلية وإيطاليا 0

ويقارن لوبون بين أسبانيا العربية وسائر أرجاء أوربا فيقول تمتعت أسبانيا بحضارة سامية بفضل العرب بينما كانت باقية أوربا فى ظلام، ولو سار الغرب تحت راية المسلمين لتسلمت منزلته [23] 0

واعترف المؤرخ " رينو " فى كتابة " تاريخ غزوات العرب " بفضل العرب على حضارات أوربا فقال : أن النهضة الحقيقية فى أوربا لم تبدأ إلا منذ القرن الثاني عشر الميلادي، حيث أفاق الفرنسيون والإنجليز والألمان من رقدتهم، ونفضوا عنهم غبار الخمول، ووجدوا ضرورة الاشتراك فى الحضارة العربية، فأخذ المسيحيون فى فرنسا وما جاورها يؤمون أسبانيا لترجمة الكتب العربية وأصبح العرب الأمثلة العليا للشجاعة والشهامة وعزة النفس ومكارم الأخلاق 0

وقال (سارتيو) فى كتابة (الحضارة) : أن ما أتت به الحضارة العربية فى باب العلم ولا سيما العلوم وتطبيقها أعظم بكثير مما أتت له فى هذا السبيل الدولة البيزنطية، إذ أن الحضارة البيزنطية لم تأت بفكر جديد 0 [24]

وأشار المفكران " لافيس " و " لامبو " فى كتابهما : التاريخ العام بالحضارة العربية وأثارها، فقال : إذ وجب أن يذكر لكل واحد قسطه من العمل، لا يسع المنصف أن يذكر قسط العرب منه كان أعظم من قسط غيرهم، فلم يكونوا واسطة نقلت إلى الشعوب المتأخرة فى أفريقيا وأسيا وأوربا اللاتينية معارف الشرق الأقصى وصناعاته واختراعاته، بل احسنوا استخدام المواد المبعثرة التى كانوا يلتقطونها من كل مكان، ومن مجموع هذه المواد المختلفة التى جلبت فتمازجت نماذج متجانسا أبدعوا حضارة حية مطبوعة بطابع مقترحاتهم وعقولهم، وهى ذات وحدة خاصة وصفات قائمة 0 [25]

وكانت مملكة بافاريا من أبرز الدول الأوربية اعتمادا على النظم العربية حيث اقتبس ملك بارفاريا خبرات المسلمين فى الأندلس ونظمهم، وقامت فى مدينة (بال) الألمانية أول محكمة قانونية على الطراز العربي الإسلامي وقلدها في ذلك سائر مدن أوربا 0

وفى مقاطعات فرنسا بدأ تأسيس دواوين الحكومات على الطريقة الإسلامية، ثم انتقلت النظم العربية الإدارية إلى بقية البلدان الأوربية، وقلد الأوربيون العرب فى إنشاء المجالس الشورية 0 [26]

وأخيرا الاستكشافات الكبرى، التى قامت فى العصر الحديث نجد أنها مبنية على ما قام به العرب 0 فكريستوفر كولمب اطلع على خرائط العرب التى شاعت فى أوربا فضلا عن شيوع استدارة الأرض عند الجغرافيين العرب، التى هيأت هذه الاستكشافات 0 [27]

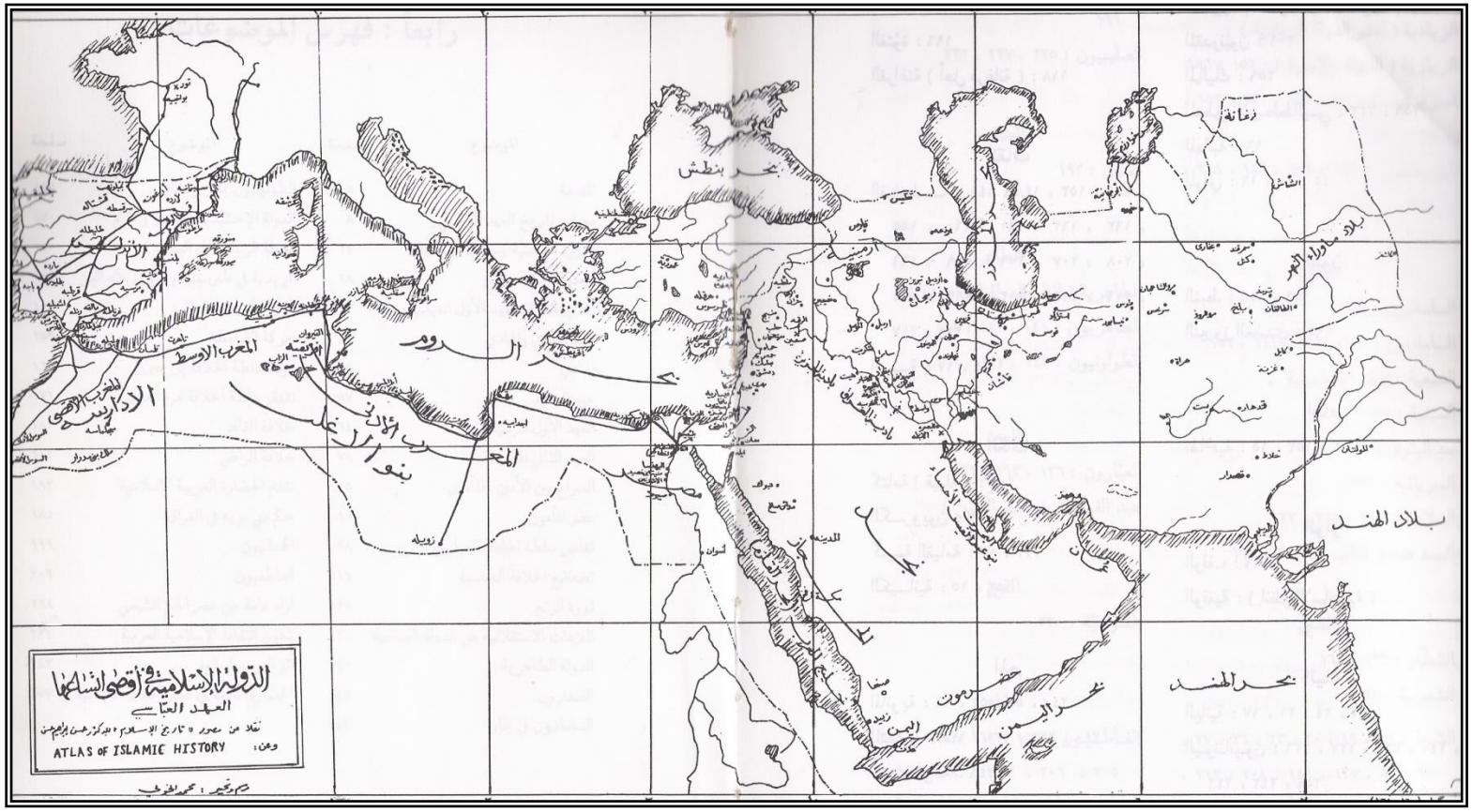
الدولة الإسلامية في أقصى اتساعها
العهد العباسي
نقلا عن صور « تاريخ الإسلام » للدكتور حسن إبراهيم حسن
وعن :
ATLAS OF ISLAMIC HISTORY
تصميم وتحبير : محمد الخطيب
بحر بنطش
بحر الروم
المغرب الأوسط
المغرب الأدنى
المغرب الأقصى
نوار الغلب
المخرب الأدنى
زويله
بحر
بحر
بحر اليمن
بحر الهند
بلاد ما وراء النهر
بلاد الهند
غزنة
قندهار
قصدار
مكران
الديبل
مصر
اليمن

مئذنة جامع الخفافين

عبد الله كامل موسى: العباسيون وآثارهم المعمارية

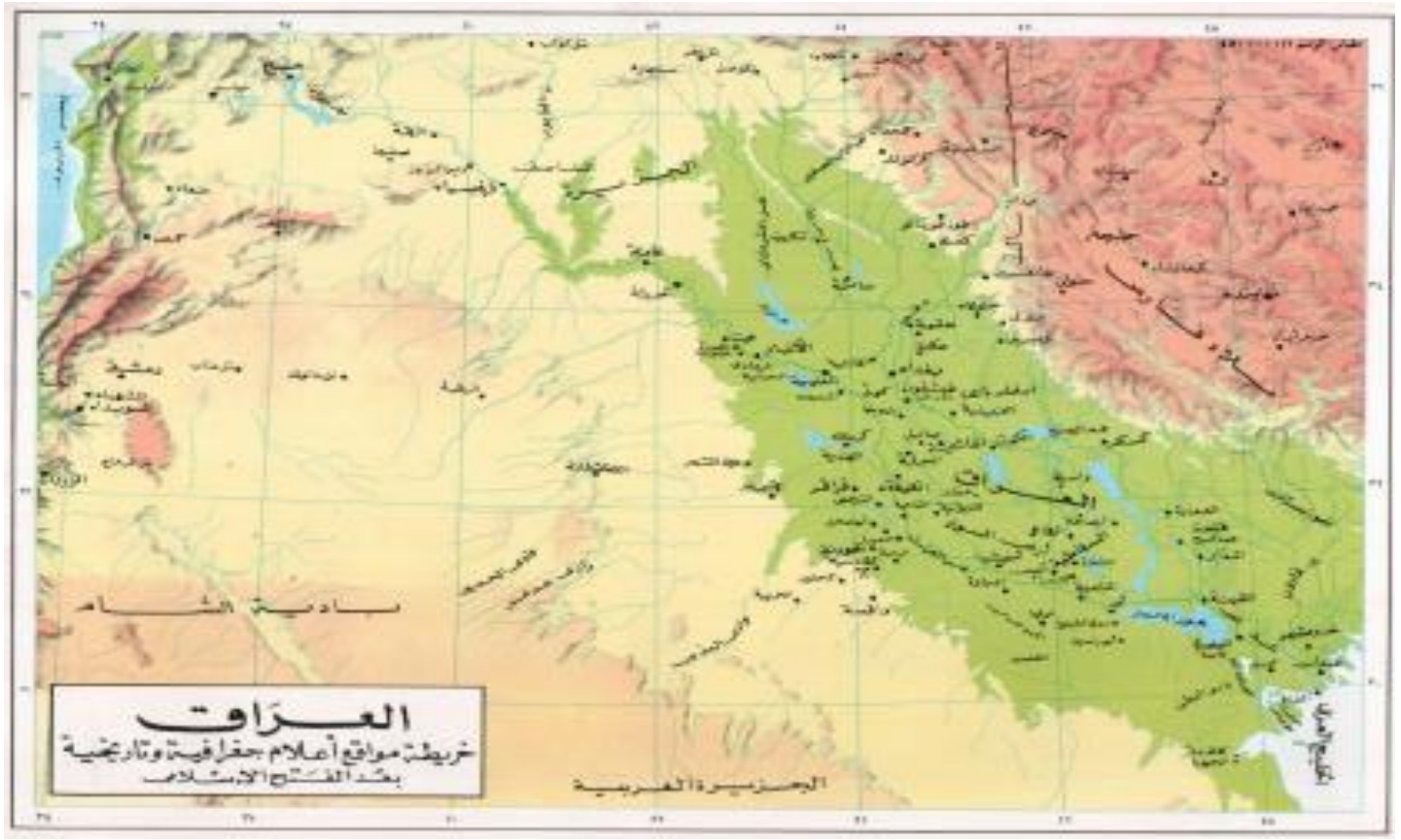
العـــراق
خريطة مواقع أعلام جغرافية وتاريخية
بعد الفتح الإسلامي
بادية الشام
الجزيرة الفراتية

المصادر والمراجع

ابـــــن الأبـــــار: (أبوعبدالله محمد بن عبدالله القضاعى): كتاب الحلة السيراء، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، ج1، القاهرة، 1963.

الإبشـــــــــــيهى: (شهاب الدين أحمد) : المستطرف من كل فن مستظرف ج1، القاهرة 1352هـ.

الأنليـــــــــــدى: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس، القاهرة 1301هـ.

ابـــــن الأثيـــــر: (عز الدين) الكامل فى التاريخ، القاهرة، 1348هـ.

الإربلـــــــــــــى: خلاصة الذهب المسبوك،بغداد 1964م.

الأصـــــــــفهانى: (أبو الفرج) مقاتل الطالبيين، بيروت 1961.

ابـــــن أيبـــــك: درر التيجان فى غرر تواريخ الأزمان، مخطوطة، رقم 4409 بدار الكتب المصرى.

البـــــــــارونى : (أبو الربيع): مختصر تاريخ الإباضية،

تونس 1938.

البغـــــــــــدادى: (الخطيـب): تـاريخ بغـداد،القاهرة،(14جـزءا) 1931.

البغـــــــــــدادى: (عبد القادر بن طاهر): الفرق بين الفرق، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، القاهرة.

البغـــــــــــدادى: (محمد بن الحسن): كتاب الطبيخ، تحقيق الدكتور داود الحلبى، الموصل، 1934.

البكـــــــــــــرى: (أبو عبيدالله): المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر، 1911.

البكـــــــــــــرى: معجم ما استعجم (4أجزاء) القاهرة 1945-1951.

البيرونـــــــــــى: أبـو الريحـان محمـد: الآثـار ألباقيـة عـن القرون الخإليه ليبزج 1878م.

البيهقـــــــــــى: (محمد بن حسن): تـاريخ ألبيهقى، ترجمة دكتـور يحيـى الخشـاب وصـادق نشـأت، القاهرة، 1956م.

النـــــــــــوخى: الفرج بعد الشدة، ج2، القاهرة 1955م.

الجـــــــــــاحظ: (أبو عمرو): كتاب التبصير بالتجارة، تحقيق الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب، بيروت 1966م.

ـــــــــــــــــ التاج فى أخلاق الملوك، القاهرة 1914م.

ـــــــــــــــــ البيان والتبيين، ج3، القاهرة، 1933، ج1، طبعة بيروت 1968م.

ـــــــــــــــــ رسالة فى المشارب والمشروب، بيروت 1969م.

ـــــــــــــــــ المحاسن والاضداد بيروت 1969م.

الجزنـــــــــــائى: (أبو الحسن على) : كتاب زهرة الآس فى بناء مدينة فاس، نشره الفريد بل، الجزائر، 1922م.

الجهشـــــــــياري: (أبوعبـدالله محمـد بـن عبـدوس): كتـاب الـوزراء والكتـاب، تحقيـق الأسـاتذة مصـطفى السقا وإبراهيم الإبيـاري وعبـد الحفيظ شلبى، القاهرة 1938م.

ابـــن الجـــوزى: (أبو الفرج عبدالرحمن): المنتظم فـى تـاريخ الملوك والأمم، ج5، طبعة حيدر آباد الدكن، 1358هـ.

ابـــن الجـــوزى : ذم الهوى، القاهرة 1962.

ابـــن خرداذبـــه: أبـو القاسـم عبـدالله : المسـالك والممالـك، تحقيق غويه، ليدن 1889.

ابـــن الخطيـــب : (لسان الدين) أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى والأستاذ محمد إبراهيم الكنانى، الدار البيضاء، 1964.

ابـــن خلـــدون: (عبـدالرحمن بـن محمـد) : المقدمـة طبعـة

بيروت 1961، وطبعة القاهرة1966هـ.

ابـــن خلـــدون : كتاب العبر وديون المبتدأ والخبر،ج4، طبعة بيروت،1957م.

ابـــن خلكـــان: (أبوالعباس أحمد): وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان، ج5، طبعة القاهرة 1948.

ابـــن دقمـــاق: (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلانى): كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، طبعة بولاق 1310هـ.

الـــــــــدينورى: (أبو حنيفة أحمد): الأخبار الطوال، تحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر، القاهرة 1960.

الـــــــــذهبى : (الحافظ شمس الدين محمد): العبر فى خبر من غبر تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، الكويت ج1، 1960.

الزبيـــــــــدى : (محمد المرتضى): تاج العروس، ج3، القاهرة، 1306هـ.

ابـــن الســـاعى: (تاج الدين على): نساء الخلفاء المسمى

جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، القاهرة، عدد 38 من سلسلة ذخائر العرب.

السلاوى : (أبوالعباس أحمد): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، الدار البيضاء، 1954.

السيوطى: جلال الدين عبدالرحمن) : تاريخ الخلفاء بيروت.

الشابشتى: كتاب الديارات، تحقيق الأستاذ كوركيس عواد بغداد 1951م.

الشهرستانى: أبو الفتح محمد : الملل والنحل، القاهرة 1948، وطبعة القاهرة 1961م.

الصابى: أبو الحسن هلال): كتاب تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج، القاهرة 1958م.

الصابى: رسوم دار الخلافة، تحقيق الأستاذ ميخائيل

عواد، بغداد 1964م.

ابـــن طباطبـــا: محمد بن علـى : كتـاب الفخرى فـى الآدتـب السـلطانية و الـدول الإسـلامية القـاهرة 1317هـ.

الطبـــــــرى: محمـد بـن جريـر تـاريخ الرسـائل والملـوك، ج8، القـاهرة 1966، وطبعـة دار القـاموس الحديث بيروت.

ابـــن طيفـــور: أبـو طـاهر أحمـد : كتـاب بغداد فـى تـاريخ الخلافة العباسية، بغداد، 1968.

ابـــن عبـــد ربـــه: أبـو عمـر أحمـد: العقد الفريـد، ج4، تحقيـق الأستاذ أحمـد أمين، القـاهرة 1944، وطبعـة القاهرة 1949م.

ابـــن البصـــرى: (أبـو الفـرج غريغويـوس): مختصـر تـاريخ الـدول تحقيـق الأب أنطـون صـالحانى اليسوعى، بيروت 1958.

ابـــن عـــذارى: (أبوعبدالله محمد المراكشى : البيان المغربى

فـى أخبـار الأنـدلس والمغرب، ج2، بيـروت، 1950.

ابن العماد الحنبلـى: شـذرات الـذهب فـى أخبـار مـن ذهـب، ج1، القاهرة 1350هـ.

ابـــن الفقيـــه أبـو بكـر أحمـد : مختصـر كتـاب البلـدان،

الهمـــــــذانى: تحقيق دى غويه، ليدن 1885م.

الفيروزابـــــاى : القاموس المحيط القاهرة، 1344هـ.

ابـــن قتيبـــة : (أبو محمد عبدالله: الإمامـة والسياسـة، ج2 القاهرة.

ابـــن قتيبـــة : الشعر والشعراء، القاهرة 1932م.

القزوينـــــــى : زكريـا بـن محمـد: أثـار الـبلاد وأخبـار العبـاد، دار صادر، بيروت 1960م.

ابـــن القفطـــى : جمـال الـدين أبـو الحسـن : تـاريخ الحكمـاء

ليبزج 1903م.

القلقشـــــــــندى: (أبوالعبـاس أحمـد : صـبح الأعشـى فـى صناعة الإنشا، ج5، القاهرة، 1913.

ابـــن القوطيـــة : محمـد القرطبـى : تـاريخ افتتـاح الأنـدلس، تحقيق دون خليان ريبيرا مدريد، 1868.

ابـن قـيم الجوزيـة : شـمس الـدين أحمـد: كتـاب أخبـار النسـاء، بيروت 1964م.

الكنـــــــــــدى: أبـو عمـر محمـد بـن يوسـف كتـاب الـولاة وكتـاب القضـاة طبعـة رفـن جسـت بيـروت 1913.

المـــــــــأوردى: (أبـو الحسـن علـى): الأحكـام السـلطانية، مصر 1289هـ.

المســـــــــعودى: أبـو الحسـن علـى : مـروج الـذهب ومعـادن الجوهر ج2، القاهرة 1346هـ و ج3، طبعة بيروت دار الأندلس.

المســـــــــعودى: التنبيه والإشراف، بغداد 1938.

المقدسى ألبشارى: شمس الدين أبو عبيدالله محمد): أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، 1906.

المقريزى: (تقى الدين أحمد): كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق، 1270هـ

المقريزى : شذور العقود فى ذكر النقود، تحقيق الطباطبانى، النجف 1356هـ.

ابن منظور : لسان العرب طبعة صادر، بيروت 1955-1956.

مجهول: أخبار مجموعة فى تاريخ الأندلس، نشرة لافونتى القنطرة، مدريد 1867.

مجهول : رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، ج1، القاهرة 1928م.

مجهول: أخبار الدولة العباسية، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدورى، بيروت 1971م.

النجفى : (على بن الحسين الهاشمى) : تاريخ

الأنبار، بيروت 1972.

النعمـــــــــــان: (القاضـى أبـو حنيفـة بـن محمـد) قضـبية إقريطش فـى عهد المعز لـدين الله، تحقيـق فرحـــات الدشـــرأوى. حوليـــات الجامعـــة التونسية، العدد الثانى 1965م.

النـــــــــــوبختى: (أبـو محمـد السـحن): كتـاب فـرق الشـيعة، استنبول 1931م.

النـويرى السـكندرى: (محمـد بـن قاسـم) : الإلمـام بمـا جـرت بـه الأحكـام المقضـية فـى وقعـة الإسـكندرية، نسخة مصورة من المخطوطة، نسخة الهند، المحفوظـة بمكتبـة كليـة الآداب جامعـة الإسكندرية، برقم 738م.

ياقوت الحموى : (شهاب الدين أبو عبيدالله): معجم البلدان، 5 مجلدات، طبعة بيروت 1955.

اليعقـــــــوبى : (أحمد بن جعفر) : تاريخ اليعقوبى، 3 أجزاء طبعة النجف 1358هـ.

ثانيا المراجع الحديثة:

أرسـلان الأسـتاذ شـكيب: تاريخ غزوات العرب.

أطهر(القاضـــــــــى العرب والهند فى عهد الرسالة، ترجمة مبـــــــــاركبورى): عبد العزيز عزت، القاهرة 1973.

أمـين (الأسـتاذ أحمـد): ضحى الإسلام، ج1، القاهرة 1952م.

أمـين (دكتـور) حسـين: سامراء فى ظل الخلافة العباسية، بغداد 1968 برأون إدوارد.

بروفنســـــــــــــال: الإسـلام فـى المغرب والأنـدلس، ترجمـة الـدكتور السـيد عبـد العزيـز سـالم، القاهرة، 1958م.

بروكلمـــــان (كـــــارل): تـاريخ الشـعوب الإسـلامية، ترجمـة د. أمـين فـارس، ومنيـر ألبعلبكـى، بيـروت 1949م.

ألبسـتانى (الـدكتور فـؤاد أفـــــــــــــــــرم): أصل اسم بغداد، مجلـة الشرق، عدد 4، بيروت سنة1934.

ابن تأوبت(الاستاذ محمد الطنجـــــــــــــــى: دولة الرستميين: مقال بصـحيفة المعهد المصـرى بمدريـد، المجلـد الخـامس 1957م.

حســن (الــدكتور زكــى الصين وفنون الإسلام القاهرة 1941.

محمـــــــــــــــد):

حسن (الدكتور إبراهيم): تـاريخ الإسـلام السياسـى، ج2، القـاهرة 1962.

حسن (الدكتور إبراهيم): النظم الإسلامية،القاهرة 1938

ألباحســـــــــــــين : البرامكة، بغداد، 1962م.

الحفنـى (دكتـور محمـود أحمد: اسـحق: الموصـلى الموسـيقار النـديم، سلسلة أعلام العرب، رقم 54، القاهرة

حمـدى (الأسـتاذ أحمـد ممـــــــــــــــدوح): معدات التجميل بمتحف الفن الإسلامى القاهرة 1959.

حورانى (جورج فاضلو): العرب والملاحـة فـى المحـيط الهنـدى، ترجمــة دكتــور يعقــوب بكــر، القــاهرة 1958م.

حى(بدر الدين الصينى): العلاقات بين العرب والصين، القاهرة 1950

حيدرى(صـــــــــلاح): المجتمع العراقى فى العصر العباسى الأول،رســـــالة ماجســـــتيربجامعة الإسكندرية.

خدورى (الأستاذ مجيد): الصلات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان، بغداد،1939م

الخضرى (الشيخ محمد): محاضرات فى تاريخ الدولة العباسية، القاهرة 1959.

ديفيـــــز (كـــــارلس): شارلمان، ترجمة الدكتور ألباز العرينى، القاهرة 1995م.

رستم (الأستاذ الأسد): الروم والعرب، ج1، بيروت 1956.

الريس (دكتور محمد ضياء الدين): النظريات السياسية الإسلامية، القاهرة .